

تأملات في

آية الكرسي

إعداد

د. عبد الله بن علي بصفر

دار نور المكتبات

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٦م - ٢٠٠٥م

دار نور المكتبات

السعودية - جدة - تحت السلامة - بجوار جامع الشعيبي
هاتف وفاكس: ٦٨٣٨٠٥١ - ص ب: ٤٠٣٧٤ - الرمز البريدي: ٢١٤٩٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

m

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ،

وبعد :

فهذه الرسالة في معاني وتفسير وظلال آية الكرسي ، كنت ألقيتها على عدة خطب بجامع منصور الشعبي بجدة ، ثم رأيت أن أجمعها في رسالة ليعم نفعها ، وسرت فيها على السير الذي سرته في تأملاتي في سورة الفاتحة ، وفواتح البقرة ، وتعمقتُ وتأملت في بعض كلمات هذه الآية ، ولو تعمقت وتأملت في كل كلمة من كلماتها ، لكان فيها عجائب أخرى ، ولبيّنت أسراراً عظيمة في هذه الآيات الكريمة، فكيف يجعل الله **U** في هذه الآية ، والتي هي أعظم آية في كتاب الله تعالى ، من الفضائل الشيء الكثير والكبير ، لولا اشتغالها على تلك المعاني العظيمة ، والأسرار الكريمة ، التي إذا عُرِفَ بعضها تَمَسَّكَ بها المسلمُ أكثرَ وأكثرَ ، وحافظَ عليها ، لعلها تكونُ خاتمة في كل ليلة، وخاتمة في نهاية العمر، وما كان لها أن يوجب لمن قرأها بعد الصلاة ، ثم لقي وجه ربه بدخول الجنة ، لولا عَظِيمَ فضلها وبركتها.

ولعل هذه الرسالة تشوق أحبابها للتعلق بها ، وتعليمها للأهل والأبناء لتكون ديدنهم في الليل والنهار، فيحفظهم الله بها في الدنيا والآخرة، وإن وَفَّقَ الله تبارك وتعالى ، فسأحاول الاستمرارَ على هذه التأمّلات في مختارات من كتاب الله تعالى، لعلَّ الله **U** أن ينفعني بها في الدنيا ، وأن يتقبلها مني يوم العرض عليه، وأسأل الله **U** أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم ، وطلباً

لعفوه العميم ، ونياً لأجره الكريم، وأسأله أن يذكرني بهذه السورة بعد آخر
كل صلاة أصليها لله رب العالمين على وجه هذه الأرض.

آمين آمين آمين

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وكتبه/ د. عبد الله بن علي بصفر



فضل آية الكرسي

روى مسلم في صحيحه عن أبي بن كعب **t** قال: قال رسول الله **e**:
 (يا أبا المنذر) وهي كنية أبي **t** ، أقرأ الصحابة لكلام الله تبارك وتعالى ،
 كما قال عمر بن الخطاب **t**: (أقرؤنا أبي ، وأقضانا علي...)^(١) ؛ فقال له
 عليه الصلاة والسلام: (يا أبا المنذر! أتدري أي آية من كتاب الله **U** معك
 أعظم؟) قلت: الله ورسوله أعلم. فقال عليه الصلاة والسلام: (يا أبا المنذر!
 أتدري أي آية من كتاب الله **U** معك أعظم؟) فقال رضي الله عنه وأرضاه:
 آية الكرسي: { اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي
 السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا
 خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
 وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ }^(٢) فقال **e** وضرب على صدره بيده:
 (لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ يَا أبا المنذر)^(٣).

(١) رواه البخاري (٤٤٨١) ، وانظر كصحيح البخاري > كتاب فضائل القرآن ، باب: القراء من

أصحاب النبي **e** ، فقد أورد أحاديث أخرى في فضائل أبي **t**.

(٢) سورة البقرة آية [٢٥٥] .

(٣) رواه مسلم (٨١٠) في كتاب < صلاة المسافرين >. ومعنى: (لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ): ليكن العلم هنيئاً

لك.

فالعلم بأعظم آية في كتاب الله U فضيلة ، ويهنئ الرسول e هذا الصحابي الجليل بمعرفة أفضل آية في كتاب الله ، ويصفه بالعلم بمعرفتها .

وفي رواية لهذا الحديث: (والذي نفسي بيده إن لها — أي لهذه الآية — لساناً وشفتين ، تُقدّسُ المَلِكُ — سبحانه وتعالى — عند ساق العرش)^(١) .

وروى الحاكم بإسناد حسن عن أبي هريرة t قال: قال رسول الله e: (سورة البقرة فيها آية سيّدة أي القرآن ، لا تقرأ في بيت فيه شيطان إلا خرج منه ؛ آية الكرسي)^(٢) إذا هي آية عظيمة ، هي أعظم آية في كتاب الله ، ولا شك أنها تستحق منا الاهتمام والعناية والفهم ، حتى ندرك السر في اختيارها أعظم آية في كتاب الله تبارك وتعالى .

ولذلك نرى أحاديث النبي e جاءت لتوجه المسلم ليختتم صلاته ، ويختتم يومه ، ويختتم حياته بهذه الآية ، فهي آية الختام والتختيم والتوديع ، لما فيها من المعاني العظيمة والأسرار الكبيرة .

عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: قال رسول الله e: (من قرأ آية الكرسي في دبر الصلاة المكتوبة ، كان في ذمة الله إلى الصلاة الأخرى)^(٣) إذاً هذا أول تختيم ؛ أن تحتّم بها صلاتك ، وجزاؤك إن ختمت بها الصلاة ، وحافظت عليها: أن يحفظك الله فتكون في ذمته وفي عهده ، وفي رعايته وفي أمانه ، فماذا فعلت؟! وماذا قدمت؟! قرأت آية الكرسي ، وحافظت عليها ، وتذكرتها؟! فمحافظةك عليها بإذن الله U حفظ من الله لك .

(١) رواه أحمد (٥/ ١٤٢، ١٤١)، (٢١٢٧٨) وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم .

(٢) رواه الحاكم (٢١٠٣) وقال: صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

(٣) رواه الطبراني في <الدعاء> (٦٧٤) وقال المنذري في <الترغيب> (٢٣٧٤): إسناده حسن .

وجاءت أحاديث أخرى توجّهنا لنختتم بها يومنا ؛ فلا ننام إلا بهذه الآية العظيمة ؛ لأن النوم هو الموتة الصغرى ، فإما أن يعود الإنسان بعدها إلى هذه الحياة ، وإما أن ينتقل إلى رحمة ربه تبارك وتعالى ؛ فالنوم موتة صغرى ؛ فلذلك يقرأ المسلم هذه الآية الكريمة عند نومه .

عن أبي هريرة **t** قال: وكَلَّني رسول الله **e** بحفظ زكاة رمضان ، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام ، فأخذته وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله **e** — المال مال المسلمين ، وهذا يسرق من مال المسلمين — فقال: إني محتاجٌ ، وعليّ دين ، ولي عيال ، وبي حاجة شديدة. قال أبو هريرة **t**: فرحمته فخليت سبيله ، فلما أصبحت قال لي النبي **e**: (يا أبا هريرة! ما فعل أسيرك البارحة؟!) فقال: قلت يا رسول الله ! شكى حاجة شديدة وعيالا ، فرحمته فخليت سبيله. فقال **e**: (أما إنه قد كذبتك وسيعود) قال أبو هريرة: (فعلمت أنه سيعود لأن النبي **e** قال: (إنه سيعود). قال: فرصدته ، فجاء يحثو من الطعام). — مرة ثانية — فحدث كما حدث في المرة الأولى ، فجاء يحثو في المرة الثالثة. قال: (فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله **e**). فقال: (دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها) كلماتٌ تساوي الدنيا كلها عند الصحابة ، (قال الراوي: وكانوا أحرص الناس على الخير). لو أن إنساناً أخطأ في زماننا هذا في حق آخر وقال له: أعلمك كلمات ينفعك الله سبحانه وتعالى بها! لقال له الآخر: لا أريد منك كلاماً. نعم لا يريد كلاماً ولو كان قرآناً أو سنة !!، وإنما يريد مالا ، يريد شيئاً مادياً محسوساً ، ما نفتنح إلا بالدنيا ، ولكن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم جميعاً كانوا يقنعون بذكر الله ، لأنهم يعرفون قدره ، ويعرفون أنه أعظم شيء في هذه الحياة ، وأعظم شيء في الآخرة ، وهو

الذي عليه مدار هذه الحياة كلها — قال: (دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها) ، قال: ماهي ؟ قال: (إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: { اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ }) تحتم بها يومك عند النوم: وهو الموتة الصغرى (فإنه لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح). لن يزال عليك من الله حافظ من الملائكة ؛ مَلَكٌ يحفظك بأمر الله إذا قرأها على نفسك أو على أبنائك أو على أهلك ؛ فالله **U** يوكل بكل واحد ملكاً يحفظهم ، ولا يقربهم شيطان.

(لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح) قال: (فخليت سبيله)؛ لأن ما أخذه منه أبو هريرة يعتبر غنيمة كبيرة تساوي الملايين ، ولكننا في هذا الزمان أصبح هذا العلم ، وهذا الدين ؛ ليس له هذه المكانة ، ولذلك أصبحنا نحن المسلمين أيضاً ليست لنا مكانة ، لأننا ما عرفنا قدر كتاب ربنا ، ولا سنة رسولنا **e** ، ولا عظمتنا شعائر الله ، والقرآن من شعائر الله: { ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ } (١).

وفي الصباح سأل النبي **e** أبا هريرة **t**: (ما فعل أسيرك البارحة ؟) قال أبو هريرة **t**: (قلت يا رسول الله ! زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها، فخليت سبيله) قال **e**: (وما هي ؟) قال: ({ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ } حتى أختمها ، ولن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح) ، فقال النبي **e**: (أما أنه صدقك وهو كذوب ، أتدري يا أبا هريرة

(١) سورة الحج آية [٣٢] .

مع من تتكلم منذ ثلاثة ليال ؟) فقال: (لا يا رسول الله). قال: (ذلك الشيطان)^(١).

وقوله: (صدقك وهو كذوب) تأكيد من رسول الله ﷺ، أن المسلم إذا قرأ هذه الآية عند نومه لا يزال عليه من الله حافظ ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح.

وفي رواية قال: (أرسلني وأعلمك آية من كتاب الله ، لا تضعها على مال ولا على ولد فيقربك شيطان أبداً).

إذاً: المسلم يقرأ هذه الآية على نفسه ، وعلى أولاده ، يحافظ عليها ، لا يتركها أبداً ، ولو درّب المسلم نفسه على قراءتها لحافظ عليها. وأيضاً يختتم المسلم بها حياته ، فهذا هو السعيد ، وهذا هو الموفق ، وهذا هو الذي يفوز بالجنة إذا وُفّقَ لأن يكون وداعه من هذه الحياة بعد أن يقرأ هذه الآية الكريمة العظيمة.

فعن أبي أمامة **t** ، أن النبي ﷺ قال: (من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت)^(٢).

ليس بينه وبين الجنة حاجز ولا مانع ولا عائق إلا الموت ، فإذا حدث الموت دخل الجنة ببركة قراءة هذه الآية ، ولكن من ذا الذي يُدرِكُها وهو لا

(١) رواه البخاري (٢٣١١) في <الوكالة> ، معلقاً بصيغة الجزم ، وفي بدأ الخلق (٣٢٧٥) ، وفي <فضائل القرآن> (٥٠١٠) وانظر <الفتح> (٤ / ٥٦٨ - ٥٧١).

(٢) رواه النسائي في <السنن الكبرى> (٩٨٤٨) والطبراني في <الكبير> ، و<الأوسط> (٨٠٦٨) ، وقال الإمام المنذري في <الترغيب> (٢٣٧٣) : وقال شيخنا أبو الحسن: هو على شرط البخاري. ا.هـ.

يعلم متى يموت؟!، ومتى سيلقي الله تبارك وتعالى؟!، قد يقرؤها في صلاة ، ويغفل عنها في صلاة ؛ وتكون تلك الصلاة هي الأخيرة ، لا يدري؟! لكن من واظب عليها ، وحافظ عليها ، وتذكر هذا الحديث وهو عند كل صلاة يقرؤها بعد الصلاة ، وهو متيقنٌ في قلبه وفي نفسه أن لها هذا الأجر العظيم ، وهذا الثواب الكبير ، وأنه إذا قرأها وجاء أجل الله دخل الجنة بإذن الله سبحانه وتعالى. وهذا فيه تذكير للمؤمن كل ما صلى صلاةً ؛ هذه الصلاة التي امتدحها القرآن الكريم: { وَإِنَّمَا لِكَبِيرَةٍ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يُطِئُونَ أُنُوفَهُمْ مُسَلِّقُوا رِئَسَهُمْ وَأَنْفَهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ }^(١)؛ بعد كل صلاة يؤديها ؛ أن يقرأ هذه الآية الكريمة ، فقله يلقي وجه الله مستعداً متهيئاً بما علّمه رسول الله ﷺ ، ليس خائفاً ، ولا وجلاً من لقاء رب العالمين ، فإذا كان نصيبه أن يلقي وجه الله تبارك وتعالى بعد تلك الصلاة التي قرأ فيها آية الكرسي ، لم يكن بينه وبين الجنة إلا أن يغرغر ، وتخرج تلك الروح ، ويدخل في جنات النعيم ، وفي رحمة رب العالمين تبارك وتعالى.

هذه الآية العظيمة في تلك السورة العظيمة ؟ سورة البقرة ، تحتاج منا إلى عناية وإلى محافظة ، وإلى أن نَعَضَّ عليها بالنواجذ ، ونعلمها أبناءنا وأهلنا ، ونسألهم كل يوم ، ونتابعهم كل يوم ، فإن من فعل ذلك فقد ختم صلاته ويومه وحياته بما يرضي الله تبارك وتعالى ، وكان عاقبة أمره إلى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين ، بإذن الله تبارك وتعالى.



(١) سورة البقرة آية [٤٥ - ٤٦] .

فضل كلمة التوحيد

قال الله **U**: { اَللّٰهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّوْمُ } ونبدأ الحديث في هذه الآية ، بالحديث عن كلمة التوحيد ، التي ابتداءً الله بها تبارك وتعالى هذه الآية العظيمة ، وابتدأها بلفظ الجلالة { اَللّٰهُ } ، وقد بيّنا عند تفسيرنا لسورة الفاتحة ؛ بيّنا معنى هذا الاسم العظيم ، وذكرنا أن الراجح عند أهل العلم: أنه هو الاسم الأعظم لله تبارك وتعالى ، وبيّنا ما جاء في معناه من أقوال أهل العلم جزاهم الله خير الجزاء^(١).

ولأن هذه أفضل آية في القرآن ابتدأت بكلمة التوحيد ، وابتدأت بلفظ الجلالة الذي هو من أسماء الله تبارك وتعالى الحسنى ، ويرجى أن يكون الاسم الأعظم لله تبارك وتعالى.

{ اَللّٰهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّوْمُ } ، { لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ } : هذه الكلمة هي كلمة التوحيد المباركة ، التي لأجلها أرسل الله الرسل ، ولأجلها أنزلت الكتب ، وشُرعت الشرائع ، وقُسم الناس لأجلها أيضاً إلى فريقين { فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي النَّارِ }^(٢) كل ذلك بسبب هذه الكلمة العظيمة ، ومعناها باختصار شديد:

(١) انظر: < تأملات في سورة الفاتحة > ص (١٧ - ٢٣) ط (١) نور المكتبات.

(٢) سورة الشورى آية [٧] .

لا معبود بحق إلا الله ، المعبودون من دون الله بالباطل كثر ، ولكنهم معبودون بالباطل ، وليسوا معبودين بالحق ، والذي يعبد بالحق هو الله تبارك وتعالى وحده.

فهذا هو معنى { لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ } ؛ أي: لا يستحق العبادة بحق إلا الله وحده. والعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والخفية.

{ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ } هذه الكلمة جاءت في القرآن العظيم ، وأشار إليها القرآن إشارات عديدة ، ومن تلك الإشارات:

أما الكلمة الطيبة؛ في قوله **U**: { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٦١﴾ تُوْتِي أَكْثَرَهَا كُلَّ حِينٍ يَأْتِيَنَّ رَبِّيَّهَا وَيُضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ }^(١) والشجرة الطيبة هي: النخلة ، والكلمة الطيبة هي: { لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ } .

وهي القول الثابت ؛ في قوله **U**: { يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ }^(٢).

وهي الكلمة الباقية ، قال **U**: { وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِمْ لَعَلَّهُمْ يُرْجَعُونَ }^(٣).

(١) سورة إبراهيم آية [٢٤ - ٢٥] .

(٢) سورة إبراهيم آية [٢٧] .

(٣) سورة الزحرف آية [٢٨] .

وهي المثل الأعلى ، قال **U**: { وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَهُوَ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (١)
فالمثل الأعلى هو: { لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ } .

وهي كلمة العهد ، كما قال **U**: { لَا يَعْزُبُكَ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا } (٢) .

وهي الكلمة العليا ، قال **U**: { وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا } (٣) كما بين ذلك المفسرون .
وهناك غيرها من آيات الله تبارك وتعالى التي أشارت إلى عظم وجلال هذه الكلمة المباركة: { لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ } .

وقد أثنى نبي الهدى **e** على قائلها ، وعلى الكثير منها ، وعلى المتقرب إلى الله والمتعبد لله بهذه الكلمة .

روى البخاري عن أبي هريرة **t** قال: قلت يا رسول الله ! من أسعد الناس بحسن شفاعتك يوم القيامة ؟ فقال **e**: (لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك ، لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه ، أو من نفسه) (٤) .

(١) سورة الروم آية [٢٧] .

(٢) سورة مريم آية [٨٧] .

(٣) سورة التوبة آية [٤٠] .

(٤) رواه البخاري (٩٩) .

إذا خرجت كلمة التوحيد من قلب المسلم، ومن نفس المسلم خالصةً لله، لا رياء فيها ولا سمعة، كانت سبباً في شفاعة النبي e لصاحبها يوم القيامة {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} (١).

وهي الكلمة التي تُفتح لها أبواب السماء؛ عندما يقولها القائل يفتح الله لها أبواب السماء؛ ففي الحديث الحسن عن أبي هريرة t قال: قال رسول الله e: (ما قال عبد {لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} قطُّ مخلصاً، إلا فُتِحَتْ له أبواب السماء حتى يفضي إلى العرش، ما اجْتَنِبَتْ الكبائر) (٢).

إنَّ هذه الكلمة المباركة ترتفع وترتفع وترتفع؛ حتى تصل إلى ذلك المقام العلي العظيم الرفيع، ما اجْتَنِبَتْ الكبائر، فإذا أردت أن تُفْتَحَ لها أبواب السماء، ويستجاب لك معها الدعاء، فاجتنب الكبائر، وأخلص بهذه الكلمة من قلبك، تفتح لها أبواب السماء، ويستجاب لك معها الدعاء.

وهي أول شعب الإيمان وأعلىها وأفضلها كما في حديث أبي هريرة t قال: قال رسول الله e: (الإيمان بضع وستون — أو بضع وسبعون — شعبة، أدناها إمطة الأذى عن الطريق، وأرفعها قول: لا إله إلا الله) (٣).

وهذه الكلمة هي أفضل الذكر لله تبارك وتعالى، فعن جابر t عن النبي e أنه قال: (أفضل الذكر: {لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ}، وأفضل الدعاء: {الْحَمْدُ لِلَّهِ}) (٤).

(١) سورة الشعراء آية [٨٨ - ٨٩].

(٢) رواه الترمذي (٣٥٩٠) وقال: حديث حسن غريب.

(٣) رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥).

(٤) رواه ابن ماجه (٣٨٠٠)، وابن حبان (٨٤٣)، والحاكم (١ / ٤٩٨)، وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

وهي من الباقيات الصالحات: (سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ،
والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) بل هي أفضل الباقيات
الصالحات ؛ لأنها أفضل الذكر كما قال **e**.

وبهذه الكلمة يتجدد الإيمان ويتجدد الإسلام ، كلما ذكرت الكلمة الأولى
التي هي باب الإسلام ؛ لا يدخل أحد الإسلام إلا من باب (لا إله إلا الله) ؛
جاء في الحديث عن أبي هريرة **t** قال: قال رسول الله **e**: (جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ)
قالوا: يا رسول الله ! وكيف نجدد إيماننا ؟ قال: (أَكثَرُوا مِنْ قَوْلِ: لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ) ^(١).

إذاً الإكثار من قول لا إله إلا الله تجديد للإيمان ، الذي نحن في أمس
الحاجة إلى أن نجدده ونقويه ، حتى نزداد إخلاصاً في عبادتنا ، في صلاتنا ، في
صيامنا ، في كل طاعة نتقرب بها إلى الله تبارك وتعالى.

وبهذه الكلمة تغفر الذنوب ؛ جاء في الحديث الحسن عن شداد بن أوسٍ
t قال: كنا عند النبي **e** فقال: (هل فيكم غريب ؟) — يعني من أهل
الكتاب — فقلنا: لا يا رسول الله. فأمر عليه الصلاة والسلام بغلق الباب ، ثم
قال: (ارفعوا أيديكم وقولوا: لا إله إلا الله) فرفعنا أيدينا ساعةً ، ثم قال:
(الحمد لله ، اللهم إنك بعثني بهذه الكلمة وأمرتني بها ، ووعدتني عليها
الجنة ، إنك لا تخلف الميعاد) ثم قال: (أبشروا فإن الله قد غفر لكم) ^(٢).

(١) رواه أحمد (٣٥٩ / ٢) والطبراني. وقال المنذري في «الترغيب» (٢٢٦٠) : وإسناده أحمد حسن.

(٢) رواه أحمد (١٢٤ / ٤) ، وقال المنذري في «الترغيب» (٢٢٥٩) : إسناده حسن.

فحري بالمسلم أن يتمسك بهذه الكلمة ، وحرى به أن يكررها ، وأن
يكثر منها ، ومن ختم الله **U** له حياته بما دخل الجنة ، كما قال النبي **e**:
(من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله ، دخل الجنة)^(١).

وهي في أول آية الكرسي ، ولذلك من قرأها دبر الصلاة المكتوبة ، وكانت
آخر صلاة له دخل الجنة ؛ لأنها متضمنة لكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) ، فمن
نسي أن يقولها بعد الصلاة الأخيرة التي يلقي بها وجه ربه ، وذكر (لا إله إلا
الله) عند موته فإن الله تبارك وتعالى يكرمه بها.

وهي خيرٌ من الدنيا وما عليها إن قالها المسلم مائة مرة ؛ ففي الحديث عن
أم هانئ رضي الله عنها ، أن النبي **e** قال لها في حديث طويل: (... وهللي
الله مائة قهليلة تملأ ما بين السماء والأرض ، ولا يُرفعُ يومئذٍ لأحد عملٌ
أفضلُ مما يُرفعُ لك إلا أن يأتيَ بمثل ما أتيت)^(٢) وفي رواية: (قولي: لا إله إلا
الله مائة مرة ، فهو خير لك من ما أطبقت عليه السماء والأرض)^(٣) أو كما
قال عليه الصلاة والسلام.

(١) رواه أبو داود (٣١١٦) في الجنائز ، باب التلقين من حديث معاذ بن جبل **t** ، ورواه الحاكم في
المستدرک > (١ / ٣٥١) وصححه ، ووافقه الذهبي ، ورواه الحاكم (١ / ٧٢) بلفظ آخر: (إني
لأعلم كلمة لا يقولها عبدٌ حقاً من قلبه فيموتُ على ذلك إلا حُرِّمَ على النار: (لا إله إلا الله).
وقال الحاكم: صحيح على شرطهما.

(٢) رواه أحمد (٦ / ٣٤٤) وقال المنذري في <الترغيب> (٢٢٩٧) : إسناده حسن.

(٣) رواه الطبراني في <الأوسط> وقال المنذري في <الترغيب> (٢٢٩٧) : إسناده حسن.

فإذاً هذه الكلمة خيرٌ من الدنيا وما عليها ، أفضل مما أطبقت عليه
السموات والأرض ، إذاً هي أفضل من الدنيا وما عليها ، كلمةٌ واحدةٌ أفضل
من الدنيا وما فيها.

ولكن لهذه الكلمة مقتضياتٌ ، فلا يقول المسلم: (لا إله إلا الله) ولا
يعلم أن لها مقتضيات وفرائض وواجبات يجب عليه أن يقوها ، وأن يفعلها ، وأن
يلتزم بها ، لأن الإيمان تصديقٌ بالجنان ، وقول باللسان ، وعمل بالأركان ، لا
تفريق بين الإيمان بالقلب والعمل بالجوارح ، فلا يقول المؤمن: (لا إله إلا الله)
إلا وهو مدركٌ أنه لا معبود بحق إلا الله ، وأن الفرائض واجبةٌ عليه فيؤديها لله ،
وأن هذا الشرع الذي شرعه الله تبارك وتعالى فيه خيرٌ له فيلتزم بتعاليمه مُخلصاً
لله تبارك وتعالى.



شهادة أن (لا إله إلا الله)

يتواصل الكلام عن شهادة (لا إله إلا الله) ، وفيها تأكيد على التوحيد ، وكلمة الشهادة بمعنى: العلم واليقين ، فعندما يقول المسلم: أشهد أن لا إله إلا الله ، أي: أعلم علم اليقين أنه لا إله إلا الله ؛ فلذلك كانت الشهادة مسئولية ، ولذلك كانت سبباً في دخول الإسلام ، ليتحمل العبد الذي يدخل في هذا الدين يتحمل المسئولية ، ولأنها تقتضي مقتضيات ، يجب على من قالها أن يلتزم بها.

فلذلك لم يقلها المشركون في مكة ، رغم أنها مجرد كلمة ؛ لو قالوها لدفعوا عن أنفسهم أموراً كثيرة ، ولكنهم عرفوا أن هذه الشهادة ، ومعها شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ ؛ معناها: العمل بالإسلام ، معناها: المحافظة على الصلاة ، وعلى فرائض الدين ، وترك الكبائر والمحرمات ، فيجب على المسلم أن يفهم ذلك ، وأن يعرف أن هذه الكلمة لها مقتضياتها.

فلذلك كانت الشهادتان الركن الأول من أركان الإسلام كما في الحديث: (بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقامة الصلاة...)^(١).

(١) رواه البخاري (٨) ، ومسلم (٤٥) من حديث عبد الله بن عمر وغيره.

يقول الله تبارك وتعالى مُبِيناً عَظَمَ هذه الشهادة ، وفضلها ، وأهميتها ؛ وهي أعظم شهادة في القرآن: { شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ } ؛ الله تبارك وتعالى يشهد بهذه الكلمة ، ولذلك كانت هذه الشهادة أعظم شهادة: { شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }^(١).

وشهادة أن لا إله إلا الله تقتضي شهادة أن محمداً رسول الله ، لأن شهادة أن لا إله إلا الله معناها: لا معبود بحق إلا الله ؛ وماهي العبادة ؟ وكيف نعرفها ؟ إنما نعرفها من رسول الله e ، فلا عبادة مقبولة إلا ما جاء بها محمد e ؛ فلا بد أيضاً من قول: أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله.

ذكر ابن كثير في تفسير قوله تعالى: { وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ } : ما رواه أبو نعيم في <دلائل النبوة> عن أنس t ، أن النبي e قال: (لما فرغت مما أمرني به ربي من أمر السماوات والأرض — يعني في الإسراء والمعراج — قلت: يا رب ! إنه لم يكن نبي قبلي إلا وقد كرمته — جعلت له كرامة — جعلت إبراهيم خليلاً ، وموسى كليماً ، وسخرت لداوود الجبال ، ولسليمان الريح والشياطين ، وأحييت لعيسى الموتى ، فما جعلت لي ؟ فقال الله تبارك وتعالى: أو ليس قد أعطيتك أفضل من ذلك كله ، أني لا أذكر إلا وذُكرت معي ، — لا إله إلا الله محمد رسول الله ؛ نطق بها في الشهادتين في الأذان ، في مشارق الأرض ومغارها ، في بلاد المسلمين كلها ، ثم قال له أيضاً — وجعلت

(١) سورة آل عمران آية [١٨] .

صدور أمتك أناجيل يقرؤون القرآن ظاهراً، ولم أعطها أمة — حفظ القرآن خاصاً بالمسلمين ولا أمة من الأمم، لا إنجيل، ولا زبور، ولا توراة، ولا صحف إبراهيم، ولا صحف موسى، لم يجعل لها الله U ما جعل للقرآن—، وأعطيتك كترًا من كنوز عرشي؛ لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم^(١).

وروى البخاري عن أنسٍ t أن النبي e ومُعَاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ قَالَ لَهُ e: (يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ !) قُلْتُ: لِيَبِّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدِيكَ. ثَلَاثًا. فَقَالَ e: (مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، صَدَقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ) قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أَخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ — بَشَرَى عَظِيمَةً — فَقَالَ e: (إِذَا يَتَكَلَّمُوا)^(٢) يَتْرَكُ الْعَمَلَ وَيَتَكَلَّمُ عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ ، ثُمَّ أَخْبِرُ بِهَا مُعَاذٌ قَبْلَ مَوْتِهِ خَوْفًا مِنَ الْإِثْمِ ، لِأَنَّ هَذَا عِلْمًا سَمِعَهُ خَشِيَ أَنْ لَا يَبْلُغَهُ فَيَأْتِمُ.

قال العلماء في هذا الحديث وأمثاله: التلفظ بكلمة التوحيد سبب يقتضي دخول الجنة والنجاة من النار، بشرط أن يأتي بالفرائض ويترك الكبائر، فإن لم يأت بالفرائض، ولم يجتنب الكبائر، لم ينفعه التلفظ بكلمة التوحيد من دخول الجنة والخروج من النار.

إذاً كما ذكرنا: أن كلمة التوحيد، كلمة الشهادة؛ لها مقتضى، لذلك إذا أراد الإنسان أن يدخل في الإسلام بعد تمحيص وتفكير ودراسة واقتناع، يدخل في الإسلام بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ليس هذا

(١) تفسير ابن كثير ص (٣٨٠٦) ج ٨ ط. ابن حزم، والحديث في الدر المنثور (٨ / ٥٤٩).

(٢) رواه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢).

فقط هو الإسلام ، بل هي إعلام بقبول هذا الإسلام والالتزام بشرائع هذا الدين العظيم.

وفي الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله e قال: (إن الله يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة) يخرج من بين الصفوف المتلاطمة من البشر على (رؤوس الخلائق يوم القيامة ، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً) من الأعمال والمعاصي (كلُّ سَجَلٍ مِثْلُ مَدِّ البَصْرِ . فيقول الله له تبارك وتعالى: أتتكر من هذا شيئاً ؟) مُسَجَّلَةٌ بالصور ، بالكتابة ، بالتواريخ ، بالمواعيد ، بكل شيء (أتتكر من هذا شيئاً ؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول: لا يارب ، فيقول الله U: أفلك عذرٌ ؟) دافع عن نفسك ؛ ألك عذرٌ أو حجة ؟! (فيقول: لا يارب ، فيقول الله U: إن لك عندنا حسنة) حسنة واحدة !! ، ولكنها حسنة عظيمة (إن لك عندنا حسنة ، فإنه لا ظلم عليك اليوم ، فتُخرج بطاقةً مكتوبٌ فيها: أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . فيقول: احضُرْ وَرَنَكَ . فيقول: ياربُّ وما هذه البطاقة مع هذه السِّجَلَاتِ ؟!) ورقة واحدة مع سِجَلَاتِ مَدِّ البَصْرِ ؛ تسعة وتسعين (فيقول الله له تبارك وتعالى: فإنك لا تُظلم ، فتُوضَعُ السِّجَلَاتُ فِي كَفَّةٍ ، والبطاقةُ فِي كَفَّةٍ فَطَاشَتْ ، السِّجَلَاتُ ، وثقلت البطاقةُ ، فلا يَثْقُلُ مع اسم الله تبارك وتعالى شيء)^(١).

(١) رواه الترمذي (٢٦٣٩) وقال حديث حسن غريب . وابن ماجه (٤٣٠٠) ، والحاكم (٦ / ١)

وقال: صحيح على شرط مسلم.

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، كلمة تكررهما وتكررها لتتذكر نعمة الإسلام ، لتتذكر نعمة التوحيد ، فتري أن الله **U** تفضل عليك بأعظم نعمة ، تفضل الله **U** عليك أن جعلك مسلماً ولم يجعلك بوذياً تسجد للأصنام ، ولا هندوسياً تسجد للبقر ، ولا نصرانياً تعبد عيسى ، ولا يهودياً تعبد عزيراً ؛ وإنما اصطفاك من بين البلايين من الناس ؛ اختارك واصطفاك على مدى الأزمان ، لتكون مسلماً موحداً ، فأبي نعمة أعظم من هذه النعمة التي أكرمك الله بها !؟.

ولذلك جاء في الحديث الحسن عن أبي هريرة **t** قال: قال رسول الله **e**: (أكثروا من شهادة أن لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها)^(١) إذاً يكثر بها المسلم قبل أن لا يتحرك هذا اللسان فلا يمكنه عندها أن يتلفظ بها. وتستحب الشهادة في أوقات وأماكن معينة وفاضلة ، نختصر منها ما يلي:

ما جاء في الحديث الحسن ؛ في دعاء الصباح والمساء ، عن أنس بن مالك **t** قال: قال رسول الله **e**: (من قال حين يُصبح أو حين يُمسي: اللهم إني أصبحتُ — أو أمسيتُ — أشهدك ، وأشهدُ حملةَ عرشك ، وملائكتك ، وجميع خلقك أنك أنت الله لا إله إلا أنت ، وأن محمداً عبدك ورسولك ، أعتق الله ربُّعه من النار ، فإن قالها مرتين ، أعتق الله نصفه من النار ، فإن قالها ثلاثاً أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار ، فإن قالها أربعاً أعتقه الله من النار)^(٢).

(١) قال المنذري في <الترغيب> (٢٢٦٣) : رواه أبو يعلى بإسنادٍ جيد قوي.

(٢) رواه أبو داوود (٥٠٦٩) ، والترمذي (٣٤٩٥) . وقال محقق <جامع الأصول> : حديث حسن

وروى مسلم عن عمر بن الخطاب **t** ، عن النبي **e** قال: (ما منكم من أحد يتوضأ فيُسبغُ الوضوءَ — يكمل الوضوءَ — ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إلا فتحت له أبوابُ الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء) ^(١) كلمة الشهادة ؛ كيف لا تفتح لها أبواب الجنان؟! وكيف لا يعتق صاحبها من النار؟! وهي تتضمن توحيد الباري **U** والإقرار بنبوّة محمد **e**.

وروى مسلم عن سعد بن أبي وقاص **t** عن رسول الله **e** أنه قال: (من قال حين يسمع المؤذن — بعد أن ينتهي من الأذان —: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، رضيت بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد **e** رسولاً ؛ غفر الله له ذنوبه) ^(٢).

وأخيراً دعاء ختام المجلس ففي الحديث الصحيح: (من جلس مجلساً كثر فيه لغطه — كثرت فيه أخطاؤه — ، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك ، إلا غُفر له ما كان في مجلسه ذلك) ^(٣).



(١) رواه مسلم (٢٣٤) .

(٢) رواه مسلم (٣٨٦) .

(٣) رواه الترمذي (٣٤٣٣) وقال: حديث حسن صحيح.

قوله تعالى:

{ الْحَىُّ الْقَيُّومُ }

قال الله تعالى: { اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ } و { الْحَىُّ الْقَيُّومُ } وردت هذه اللفظة في كتاب الله تبارك وتعالى في ثلاثة مواضع في القرآن العظيم؛ جاء عن أبي أمامة ، t قال: قال رسول الله e: (إن اسم الله U الأعظم الذي إذا دعي به أجاب ، وإذا سُئِلَ به أعطى في ثلاث سور من كتاب الله ، في سورة البقرة وآل عمران وطه) (١).

أما سورة البقرة فهي في أول آية الكرسي: { اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ } ، وأما في آل عمران ففي أول السورة: { الْعَزَّ وَجَلَّ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ } ، وأما في سورة طه فهي في قوله U: { وَعَسَى أَنْ تَمُوتَ وَتُحْيَى } .

وروى الترمذي عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها ؛ أن النبي e قال: (اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: { وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ } ، وفتحة سورة آل عمران: { الْعَزَّ وَجَلَّ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ }) (٢).

(١) رواه أحمد (٦ / ٤٦١) رقم (٢٧٦١١) وقال محققو المسند: إسناده ضعيف، والحديث رواه الطبراني في الأوسط (٨٣٧١)، والحاكم (١ / ٥٠٦)، وابن ماجه (٣٨٥٦)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١٣٥٢) بعد أن أورده موقوفاً ومرفوعاً: رجال الموقوف ثقات، وأما المرفوع ففيه غيلان؛ لم أر فيه كلاماً. ا.هـ.

(٢) رواه الترمذي (٣٤٧٨) وقال: حديث حسن صحيح، ورواه أبو داود (١٤٩٦)، وابن ماجه (٣٨٥٥).

وعن أنس بن مالك **t** أنه كان مع رسول الله **e** جالساً ، ورجلٌ يصلي^(١) ، ثم دعا: (اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت ، يا حنان ، يا منان ، يا بديع السماوات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم). فقال رسول الله **e**: (لقد دعا الله باسمه الأعظم ، الذي إذا دعي به أجاب ، وإذا سئل به أعطى)^(٢) إذاً مجموع هذه الروايات تبين أن مما يترجح أنه اسم الله الأعظم: اسم { الْحَيُّ الْقَيُّومُ } .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أعظم الأسماء لله **U** الحي القيوم. قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله: (وأما قوله { الْحَيُّ } فإنه يعني: الذي له الحياة الدائمة ، والبقاء الذي لا أول له بحدّ ، ولا آخر له بأمد ؛ إذ كل ما سواه وإن كان حياً فلحياته أولٌ محدود ، وآخر ممدود، ينقطع بانقطاع أمدها، وينقضي بانقضاء غايتها^(٣) .

وقال ابن كثير رحمه الله: ({ الْحَيُّ } أي: الحي في نفسه ، الذي لا يموت أبداً)^(٤) .

ومن هنا تأتي عظمة هذا الاسم، وجلال هذا الاسم الكريم المبارك ، وهذا كما قال الله **U**: { وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ }^(٥)، ومن هنا تأتي عظمة حياة الله تبارك وتعالى ؛ إنها حياة ليس فيها موت.

(١) هو أبو عبيد بن الصامت الزُّرقبي **t** .

(٢) رواه أبو داود (١٤٩٠) ، وابن حبان (٨٩٣) ، وابن ماجه (٣٨٥٨) ، والحاكم (١ / ٥٠٤) وقال: صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي.

(٣) تفسير الطبري (٥٢٧ / ٤) ط. هجر.

(٤) تفسير ابن كثير (٦٢٣ / ٢) ط. ابن حزم.

(٥) سورة الفرقان آية [٥٦] .

وقال تعالى عن نفسه: { هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ }^(١) فهو كما قال العلماء: اسم من أسماء الله الحسنى ، وفرق بين حياة الله وحياة الخلق.

قال الشيخ محمد رشيد رضا في <تفسير المنار>: (إن حياة الله تعالى ذاتية وحياة الإنسان من الله تعالى ، وإن حياة الله تعالى أزلية — يعني قديمة — وحياة الإنسان حادثة، أن حياة الله تعالى لا تفارقه، وحياة الإنسان تفارقه حين يموت ، وإن حياة الله تعالى هي التي تفيض الحياة على كل حي ، وحياة الإنسان خاصة به ، وكذلك العلم ، والتدبير ، والإرادة ، كل ذلك ناقص في الإنسان ، والله تعالى مُنَزَّهٌ عن النقص ، وإليه ينتهي الكمال المطلق في ذاته وصفاته تبارك وتعالى)^(٢).

بل إن الله تبارك وتعالى هو الذي يحيي ويميت كما جاء في القرآن العظيم { وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ }^(٣) ، وقال تعالى: { كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْتُمْ تُرْجَعُونَ }^(٤) فالحياة حادثة للإنسان ؛ كنا أمواتاً وأصبحنا أحياءً بأمر الله وقدرته ؛ فكيف نُقَصِّرُ في جنب الله تبارك وتعالى؟!.

(١) سورة غافر آية [٦٥] .

(٢) <تفسير المنار> (٢٨ / ٣) بتصرف يسير .

(٣) سورة الحج آية [٦٦] .

(٤) سورة البقرة آية [٢٨] .

بل إن الله أحيانا نحن المسلمين المؤمنين حياةً أخرى غير حياة الدم والحركة والجسد التي نشترك فيها مع كل المخلوقات ؛ فكلها بقلبٍ وبدمٍ، وبعصبٍ وبحركة ؛ لكن الله أحيانا حياةً أخرى ؛ قال **U** : { أَوْ مِنْ سَكَّانٍ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ } ^(١) إذاً نحن المسلمين إذا عرفنا الله **U** ، وأدبنا ما أمرنا تبارك وتعالى به ، واجتنبنا ما نهانا الله عنه ، فنحن أحياء ؛ وبقية البشر أموات ، أحيانا بالقرآن ، أحيانا بالإيمان ، أحيانا بالدين ؛ فهذه حياتان .
وقال تعالى : { أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ } ^(٢)
فالحياة ليست صحة الجسد فقط ، بل الحياة أيضاً صحة الروح والقلب، والدين والإيمان.

وسمى هذه الدنيا حياة وسمى الآخرة حياة ، فهنا حياة وهناك حياة ، ولكن شتان بين الحياتين ، شتان بين هذه الحياة الفانية وبين تلك الباقية ؛ قال الله تبارك وتعالى : { أَرْضِيئُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُوا إِلَّا قَلِيلًا } ^(٣) وقال عن الحياة الآخرة : { وَإِنَّكَ لَآتِيَنَّ الْآخِرَةَ لَيْسَ لَهَا نَحْوَانُ } ^(٤) يعني حياتان وليست واحدة.

فالحي من أسماء الله الحسنى ؛ حياة الدنيا كلها من هذا الاسم ، ومن حياة الله تبارك وتعالى.

(١) سورة الأنعام آية [١٢٢] .

(٢) سورة الأنفال آية [٢٤] .

(٣) سورة التوبة آية [٣٨] .

(٤) سورة العنكبوت آية [٦٤] .

وقال U: { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنشَأَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً }^(١) ؛ حتى الحياة الدنيا ، القصيرة الفانية ، إذا أردتها طيبةً مباركة ، فسِرُّ على منهج الله تكن حياتك طيبة سعيدة ، وفي الآخرة تكون الحياة الأبدية حياة طيبة بإذن الله تبارك وتعالى ، مع صلاح العمل.

قال القرطبي رحمه الله: ({ أَلْحَىٰ } اسم من أسماء الله الحسنى يُسَمَّى به ، ويقال: إن عيسى بن مريم كان إذا أراد أن يحيي الموتى يدعو بهذا الدعاء (يا حي يا قيوم) ويقال: إن آصف بن برخيا لما أراد أن يأتي بعرش بلقيس من اليمن إلى سليمان دعا بهذا الدعاء (يا حي يا قيوم) و { الْقَيُّومُ } : القائم بتدبير ما خلق)^(٢).

حي لا يموت ، يدبر ويتصرف ، ويحفظ خلقه تبارك وتعالى ، وهو قائم ليس على البشر وحدهم ، ولا على الملائكة فقط ، ولا على الجن فحسب ، بل قائم على كل شيء ؛ قال جل وعلا: { أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ }^(٣) (قال الحسن: معناه القائم على كل نفس بما كسبت حتى يجازيها بعملها ، من حيث هو عالم بما لا يخفى عليه شيء منها. وقال ابن عباس: معناه الذي لا يحول ولا يزول)^(٤).

(١) سورة النحل آية [٩٧] .

(٢) <تفسير القرطبي> (٣ / ١٧٦) ط. دار الكتب المصرية.

(٣) سورة الرعد آية [٣٣] .

(٤) <تفسير القرطبي> (٣ / ١٧٧) .

وقال ابن القيم رحمه الله: { الْقِيَوْمُ } القائم بنفسه لا يحتاج إلى من يقيمه بوجه من الوجوه ، وهذا من كمال غناه بنفسه عما سواه ، وهو المقيم لغيره ؛ فلا قيام لغيره إلا بإقامته، وهذا من كمال قدرته وعزته (١).

هذه بعض معاني هاتين الكلمتين العظيمتين: { الْحَيُّ الْقَيُّومُ } .

وعن أنس بن مالك **t** قال: قال رسول الله **e** لفاطمة رضي الله عنها: (ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به ، أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث ، أصلح لي شأني كله ، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين) (٢).

وعن أبي ذر **t** أن رسول الله **e** قال: (من قال في دبر صلاة الفجر وهو ثانٍ رجله قبل أن يتكلم: لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قديرٌ ، عشر مرات ، كُتِبَ له عشرُ حسنات ، ومُحِيتْ عنه عشرُ سيئات ، ورُفِعَ له عشرُ درجاتٍ ، وكان يومه ذلك في حرزٍ من كل مكروه ، وحُرِسَ من الشيطان ، ولم ينبغِ لذنبٍ أن يُدْرِكَهُ في ذلك اليوم إلا الشرك بالله تعالى) (٣) ، هذا كله بهذا الذكر العظيم ، وخصوصاً في الفجر ، وفي رواية بعد المغرب أيضاً.

(١) <أسماء الله الحسنى> لابن القيم الجوزية. ص (٢٢٥) ط. دار الكلم الطيب.

(٢) رواه النسائي في <عمل اليوم والليلة> (٥٧٠) ، والحاكم (١ / ٥٤٥) وقال: صحيح على شرطهما ، ووافقه الذهبي.

(٣) رواه الترمذي (٣٤٧٤) وقال: حديث حسن غريب صحيح.

يتذكر الإنسان في الصباح: الحياة ؛ أن الله أحياء بعد الموت ، فيقول هذا الدعاء (يحي ويميت) وإذا جاء المغرب قاله مرةً أخرى ليتذكر قرب الموت ، والنوم مودة صغرى كما نعلم جميعاً.

وعن عمر بن الخطاب **t** أن رسول الله **e** قال: (من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة) يعني مليون حسنة (ومحا عنه ألف ألف سيئة ، ورفع له ألف ألف درجة)^(١).
وعن بقية قال: كنا مع إبراهيم بن أدهم — وهو من العلماء الأولياء — في البحر ، فهاجت الرياح ، واضطربت السفينة ، وبكى الناس ، فقلنا: يا أبا إسحاق ما ترى ؟ فقال أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم — توجه إلى الله بهذا الدعاء—: يا حي حين لا حي، ويا حي قبل كل حي، ويا حي بعد كل حي ، ويا حي يا قيوم ، يا محسن يا مجمل ، قد أرئتنا قدرتك ، فأرنا عفوك. فهذأت السفينة من ساعته^(٢).

قال ابن القيم رحمه الله: (فانتظم هذان الاسمان صفات الكمال والغنى التام ، والقدرة التامة ، فكأن المستغيث بهما مستغيثٌ بكل اسم من أسماء الرب تبارك وتعالى ، وبكل صفة من صفاته ، فما أولى الاستغاثة بهذين الاسمين ؛ أن يكونا في مظنة تفریح الكربات ، وإغاثة اللهفات ، وإنالة الطلبات)^(٣).

(١) رواه الترمذي (٣٤٢٨) وقال: حديث غريب. قال المنذري في <الترغيب> (٢٥٢٣) : وإسناده متصلٌ حسن، ورواه ثقات أثبات، وقال الترمذي في رواية له مكان: (ورفع له ألف ألف درجة) (وبنى له بيتاً في الجنة) ورواه بهذا اللفظ : ابن ماجه — (٢٢٣٥) —، وابن أبي الدنيا، والحاكم — (١ / ٥٣٨) — وصححه... ا.هـ.

(٢) كنزها الفضلاء> (١ / ٥٩٦) .

(٣) <أسماء الله الحسنى> ص (٢٢٦) .

فَعِنْدَ الْكَرْبِ ، وَعِنْدَ الضِّيقِ ، وَعِنْدَ الْحَاجَةِ ؛ عَوْدَ لِسَانِكَ أَنْ يَلْهَجَ بِهَذَيْنِ
الْأَسْمِينَ الْعَظِيمَيْنِ: (يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمَ).

وَفِي الْحَدِيثِ الْحَسَنِ عَنْ بِلَالِ بْنِ يَسَارٍ بْنِ زَيْدٍ **t** قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ
جَدِّي أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ **e** يَقُولُ: (مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
الْحَيُّ الْقَيُّوْمُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ، غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ فَرًّا مِنَ الزَّحْفِ) ^(١) نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ
الْعَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّوْمُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ.



(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (١٥١٧) ، وَالتِّرْمِذِيُّ (٣٥٧٧) وَقَالَ: حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا
الْوَجْهِ. قَالَ الْمُنْذَرِيُّ فِي <التَّرغِيبِ> (٢٤١٤): وَإِسْنَادُهُ جَيِّدٌ مُتَّصِلٌ. ا.هـ.

قوله تعالى:

{ لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ }

قوله U { لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ } تقدم الحديث عن قوله تعالى { الْحَيُّ الْقَيُّومُ } فتناسب الحديث بعدها مباشرة ؛ { لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ } فهو حي لا ينام ، وقيوم لا يغفل ولا ينعس ، كما قال ابن جرير رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: السنة النعاس^(١).
وقدّم السنة على النوم لكونها تتقدمه في الوجود ؛ لأن النعاس يأتي قبل النوم (قال الرازي: تقدير الآية: { لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ } فضلاً عن أن يأخذه نوم.
وقال زهير الشاعر:

ولا سنةٌ طوال الدهر تأخذه ولا ينام وما في أمره فندُ
قال الشوكاني رحمه الله: فلو وقع الاقتصار في النظم القرآني على نفي النوم فقط لم يفد نفي السنة ، فكم من ذي سنة غير نائم)^(٢).
وقال ابن كثير رحمه الله: ({ لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ } أي: لا يعتريه نقصٌ ولا غفلة ولا ذهولٌ عن خلقه ، بل هو قائم على كل نفس بما كسبت ، شهيد على كل شيء ، لا يغيب عنه شيء ، ولا يخفى عليه خافية. ومن تمام

(١) <تفسير الطبري> (٤ / ٥٣١).

(٢) <فتح القدير> (١ / ٣٤٥ ، ٣٤٦) بتصرف.

القيومية أنه لا يعتريه سنة ولا نوم^(١).

وفي الصحيح عن أبي موسى **t** قال: قام فينا رسول الله **e** بأربع كلمات فقال: (إن الله لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يُرْفَعُ إليه عمل النهار قبل عمل الليل ، وعمل الليل قبل عمل النهار ، حجابُه النور أو النار ، لو كشفه لأحرقت سُبحَاتُ وجهه من انتهى إليه بصره من خلقه)^(٢).

وقال الشيخ الإمام محمد عبده رحمه الله: (والجملـة — أي { لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ } — تأكيد لما قبلها — تأكيد لقوله { الْحَيُّ الْقَيُّومُ } — مقررـة لمعنى الحياة والقيومية على أكمل وجه ، فإن من تأخذه السنة والنوم يكون ضعيف الحياة ، وضعيف القيام بنفسه أو على غيره)^(٣)، وتعالى **U** عن ذلك علواً كبيراً.

وقال الشيخ ابن عاشور محمد الطاهر رحمه الله: (ونفي استيلاء السنة والنوم على الله تعالى تحقيقاً لكمال الحياة، ودوام التدبير، وإثباتاً لكمال العلم ؛ فإن السنة والنوم شبيهان بالموت ، فحياة النائم في حالهما حياةٌ ضعيفة ، وهما يعوقان عن التدبير وعن العلم بما يحصل في وقت استيلائهما على الحس)^(٤).

(١) <تفسير ابن كثير> (٢ / ٦٢٣) .

(٢) رواه مسلم (١٧٩) في كتاب الإيمان .

(٣) نقلاً عن <تفسير المنار> (٣ / ٣٠) ط . دار المعرفة .

(٤) <التحرير والتنوير> (٢ / ٤٩٤) ط . مؤسسة التاريخ العربي .

ومما يدل على أن النوم ليس بحياة ، وإنما هو مودة صغرى ، ما جاء في كلام الله تبارك وتعالى ؛ فإذا كان النوم موتاً والله **U** قد نفى عن نفسه الموت وأوجب لها الحياة ، فمن باب أولى أن ينفى النوم أيضاً .

قال **U** : { اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَابِعِهَا فِيمِمْسِكِ الْتَى قَصَصْنَا عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَى إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } ^(١) .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : (ثم قال تعالى مخبراً عن نفسه الكريمة ، بأنه المتصرف في الوجود بما يشاء ، وأنه يتوفى الأنفس الوفاة الكبرى بما يرسل من الحفظة الذين يقبضونها من الأبدان ، والوفاة الصغرى عند المنام ، وكما قال

U : { وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقَاسَى أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥١﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ

لَا يُفَرِّطُونَ } ^(٢) فذكر الوفاة الصغرى والكبرى — ثم قال ابن كثير رحمه الله — : وفيه دلالة على أنها تجتمع في الملاء الأعلى — يعني: أرواح الأموات ، وأرواح النائمين — ... وقال بعض السلف: تقبض أرواح الأموات إذا ماتوا ، وأرواح الأحياء إذا ناموا ، فتتعارف ما شاء الله أن تتعارف .

(١) سورة الزمر آية [٤٢] .

(٢) سورة الأنعام آية [٦٠ - ٦١] .

وفي معنى قوله تعالى: { هَيِّسْكَ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الَمَوْتَ } قال ابن عباس
t: يمسك أنفَسَ الأموات ، ويرسل أنفَسَ الأحياء ، ولا يغلط. سبحانه وتعالى
{ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } (١).

ولذلك نرى أن غالبَ أدعيةِ النوم التي علمنا إياها النبي e تشير إلى
ذلك ، وتُودَّعُ هذه الحياة ، وتَسألُ الله U أن يحسنَ الختام ، كما جاء في
الحديث الصحيح عن حذيفة t قال: كان رسول الله e إذا أخذ مضجعه من
الليل وضع يده تحت خَدَّهُ ثم قال: (باسمك اللهم أموتُ وأحيا) وإذا استيقظ
قال: (الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور) (٢).
فهل نعتبر بهذا النوم الذي نعتبره راحةً وهدوءاً وسكينةً ، وننسى أنه موتةٌ
صغرى؟!.

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة t قال: قال رسول الله e: (إذا
أوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره ، فإنه لا يدري ما خلفه
عليه — يعني: لا يدري ما وقع على فراشه من هوامٍ أو تراب — قال: ثم
يضطجع على شقه الأيمن ، ثم يقول — وهذا فيه تشبيه بالميت الذي يوضع في
قبره ، فإنه يوضع على خده الأيمن ، وعلى شقه الأيمن — باسمك ربي وضعتُ
جنبي وبك أرفعهُ ، إن أمسكت نفسي فارحمها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما
تحفظ به عبادك الصالحين) (٣).

(١) <تفسير ابن كثير> (٧ / ٣٠٤٢) بتصرف.

(٢) رواه البخاري (٦٣١٤).

(٣) رواه البخاري (٦٣٢٠) ، ومسلم (٢٧١٤) ، والترمذي (٣٣٩١).

وفي رواية الترمذي: (وإذا استيقظ يقول: الحمد لله الذي عافاني في جسدي ، ورد عليّ روحي ، وأذن لي بذكره).

وفي صحيح البخاري عن البراء بن عازب **t** قال: قال رسول الله **e**: (إذا أتيت مضجعك ، فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شِقِّكَ الأيمن ، ثم قل: اللهم أسلمت نفسي إليك ، ووجهت وجهي إليك ، وفوضت أمري إليك ، وأجأت ظهري إليك ، لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، وبنيك الذي أرسلت ، رغبةً ورهبةً إليك ، فإن متَّ من ليلتك ، فأنت على الفطرة ، واجعلهنَّ آخر ما تتكلم به) قال: فردَّدتها على النبي **e** ، فلما بلغت: اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت ، قلتُ: ورسولك ، قال: (لا ، ونبيك الذي أرسلت)^(١). إذا الدعاء يحفظ بحذافيره ، من غير زيادة ولا نقصان.

وروى مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه أمر رجلاً إذا أخذ مضجعه أن يقول: (اللهم خلقت نفسي وأنت توفأها ، لك مماتها ومحياها ، إن أحييتها فاحفظها ، وإن أمتها فاغفر لها ، اللهم إني أسألك العافية) فقال له رجل: أسمعتَ هذا من عمر؟ فقال: سمعته من خيرٍ من عمر ، من رسول الله **e**^(٢).

وفي الحديث الحسن عن حفصة بنت عمر رضي الله عنهما قالت: كان رسول الله **e** إذا أراد أن يرقد ، وضعَ يده اليمنى تحت خدّه ، وقال: (اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك) ثلاث مرات^(٣).

(١) رواه البخاري (٢٤٧) ، ومسلم (٢٧١٠) .

(٢) رواه مسلم (٢٧١٢) .

(٣) رواه أبو داود (٥٠٤٥) في <الأدب> ، باب: ما يُقال عند النوم ، وقال محقق <جامع الأصول>

(٢٧١ / ٤) : وهو حديث صحيح .

فقد يكون هذا النوم بعده الموت ، ولقاء رب العالمين ، والبعث والنشور ،
ومن مات قامت قيامته ، فلذلك يكون الدعاء بالنجاة من أعظم الأهوال بعده ،
وهي أهوال يوم القيامة.

وأخيراً جاء في الحديث الحسن عن أبي سعيد الخدري **t** ، عن النبي **e**
قال: (من قال حين يأوي إلى فراشه: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحيُّ
القيومُ وأتوبُ إليه ، ثلاث مرات غُفرت له ذنوبُهُ وإن كانت عدد ورق
الشجر ، وإن كانت عدد رملٍ عاجلٍ ، وإن كانت عدد أيام الدنيا)^(١)
فلنحرص على هذه الأدعية عند النوم ، فلعلنا ننام ولا نستيقظ ، ولعلنا ننام
ونستيقظ في طاعة الله ، وفي مرضاة الله تبارك وتعالى.



(١) رواه الترمذي (٣٣٩٤) في <الدعوات> ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

قوله تعالى:

{ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ }

يقول الله U: { لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ } قال ابن جرير الطبري رحمه الله تبارك تعالى: (يعني جل ثناؤه أنه مالك الجميع بدون شريك ولا نديد ، وخالق جميعه دون آلهة ومعبود ، وإنما يعني بذلك أنه لا تنبغي العبادة لشيءٍ سواه ، لأن المملوك إنما هو طوعٌ يد مالكة ، وليس له خدمةٌ غيره إلا بأمره)^(١). ويؤيد هذا آياتٌ كثيرة ؛ منها قوله تعالى: { أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ }^(٢)، وفي آيةٍ أخرى: { لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ }^(٣). وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: ({ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ } إخبار بأن الجميع عبده وملكه ، وتحت قهره وسلطانه ؛ كقوله تعالى: { إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا لِي عَبْدٌ }^(٤) لَقَدْ لَخَصَّصْنَاهُمْ وَعَدَّاهُمْ عِدًّا }^(٤)).

(١) <تفسير الطبري> (٤ / ٥٣٤).

(٢) سورة البقرة آية [١٠٧] ، وسورة المائدة آية [٤٠] .

(٣) سورة البقرة آية [٢٥٥] .

(٤) <تفسير ابن كثير> (٢ / ٦٤٢) ، والآيات من سورة مريم [٩٣ - ٩٤] .

وقد جاء ذكر السماوات والأرض في آيات كثيرة في القرآن العظيم ؛ لأنها من أعظم خلق الله تبارك وتعالى ، ومن أوائل ما خلق الله تبارك وتعالى .

ومن هذه الآيات: قوله **U**: {ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} ^(١).

وقوله **U**: {أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} ^(٢) كل شيء مسلم ومستسلم وخاضع لله تبارك وتعالى ، إلا العبد الكافر والعاصي.

وقوله تبارك وتعالى: {وَاللَّهُ مِيرَاتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} ^(٣) هو خلقها ، وهو يملكها ، وهو يرثها ؛ إذا ملكنا في هذه الأرض ملك مؤقت محدود بحياتنا ، فإذا متنا انتقل إلى غيرنا ، وهذا مؤقت ومجازي ليس بحقيقي ، إنما الملك الحقيقي لله تبارك وتعالى ، وقد يأتي أحد بصك ويقول هذه أرضي ، هذا بيتي ، هذه عمارتي ، وفي الحقيقة ليس لك فيها شيء ؛ إنما هو إكرام من الله تبارك وتعالى ، جعل لك ملكاً مؤقتاً ومجازياً ، وإنما الملك الدائم والحقيقي لله تبارك وتعالى .

وقال تعالى: {يَلَلَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ} ^(٤).

(١) سورة البقرة آية [٢٩] .

(٢) سورة آل عمران آية [٨٣] .

(٣) سورة آل عمران آية [١٨٠] .

(٤) سورة الشورى آية [٤٩] .

وقال تعالى: { إِبْرَاهِيمَ رَبِّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ }^(١) هذا الكون العظيم المائل خلقه في ستة أيام ، وهو قادر على أن يخلق الكون كله بقوله: { كُنْ فَيَكُونُ } ؛ ولكن ليعلم خلقه ويربيهم على هذه السنة ، وعلى هذا المبدأ ؛ أن يجتهد الإنسان في بناء شيء ، وفي عمل شيء ، وفي إتقان شيء ، فلا بد له من وقت حتى ينجز هذا العمل.

وقوله سبحانه كذلك: { اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا }^(٢) بناء ليس له أعمدة ، أو له أعمدة لا نراها ؛ تحتل الآية التفسيرين.

وقال جل وعلا: { نَسِجَ لَهُ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضَ وَمَنْ فِيهِنَّ }^(٣) السماوات كلها والأرض كلها تسبح لله العظيم الخالق سبحانه وتعالى.

وقال سبحانه وتعالى: { أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَلَقْنَهُمَا }^(٤) كانت الأرض والسما والكواكب كلها شيئاً واحداً ، كانت دحاناً كما قال القرآن ، وهو ما اكتشفه علماء الفلك: أن هذه الكواكب كانت ذرات وغازات وأبخرة.

وقال جل وعلا: { ثُمَّ أَسْتَوَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَاللَّأَرْضِ أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ }^(٥).

(١) سورة الأعراف آية [٥٤] ، وسورة يونس آية [٣] .

(٢) سورة الرعد آية [٢] .

(٣) سورة الإسراء آية [٤٤] .

(٤) سورة الأنبياء آية [٣٠] .

(٥) سورة فصلت آية [١١] .

وقال سبحانه أيضاً: { أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي

الْأَرْضِ }^(١) هو يملكها وكل ما فيها، وهو الذي سَخَّرَ لنا ما فيها سبحانه تَكْرَمًا منه وتفضلاً فله الحمد كله.

وقال تبارك وتعالى: { وَاللَّهُ أَوْلَم يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ }^(٢).

وقوله U: { لَا يَعْرُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ }^(٣).

وقوله U { لَا يَمْلِكُ كُونًا مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ }^(٤)

ما يملك الإنسان ذرة لا في الأرض ولا في السماء ، إنما يملكها الله ، ولا تغيب عنه ، ويعلم مكانها وحالتها.

وقال سبحانه وتعالى: { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ }^(٥).

وقال U: { اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ }^(٦).

قال علماء الفلك: الأرض كوكب صغير من أصغر النجوم تابع للشمس ،

(١) سورة لقمان آية [٢٠] .

(٢) سورة الإسراء آية [٩٩] .

(٣) سورة سبأ آية [٣] .

(٤) سورة سبأ آية [٢٢] .

(٥) سورة الزمر آية [٦٧] .

(٦) سورة الطلاق آية [١٢] .

والشمس أحد نجوم مجرة درب التبانة ، ودرب التبانة مجرد مجموعة ضخمة من الكواكب والنجوم من ضمنها الشمس وكواكبها التي تدور معها ، ومنها الأرض، درب التبانة مجرة واحدة ؛ كم تحتوي هذه المجرة من نجوم وكواكب ؛ الأرض من أصغرها ، والشمس من أصغرها قالوا: تضم مائة بليون نجم ، يعني مائة ألف مليون نجم منتشرة في الفضاء ، والشمس من أصغرها أو من أوسطها ، والشمس أكبر من الأرض بثلاثمائة وثلاثة وثلاثين ألف مرة ، وهي تسير بسرعة ألف وخمسمائة كيلو متر في الثانية ، يعني بمقدار ما تغمض عينك تسير هذه الشمس تلك المسافة الشاسعة ؛ وصدق الله **U** إذ يقول: { وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ }^(١) وهي تدور حول محورها مرة واحدة في داخل المجرة ؛ كل مائتين مليون سنة تكمل لفة واحدة ، ويبلغ أقصر قطر مجرة التبانة — القطر مسافة من الوسط إلى الطرف — أقل قطر مسافة مائة ألف سنة ضوئية ، يعني مليون مليون مليون كيلوا متر ؛ هذا أقصر قطر للمجرة !!.

وهناك عشرات الآلاف من المجرات غير هذه المجرة ، وهذا الذي توصل له علماء الفلك ، وإلا فالله **U** يوسع في خلقه ، كما قال سبحانه وتعالى: { وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْمٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ }^(٢).

اليوم في الأرض أربعة وعشرون ساعة ، الزمن نسبي حتى تأتي إلى آية من الآيات ، ولكن في الزهرة اليوم الواحد مائة وثمانية عشر يوماً أرضياً ، وفي

(١) سورة يس آية [٣٨] .

(٢) سورة الذاريات آية [٤٧] .

عطارد اليوم مائة وستة وسبعون يوماً أرضياً ، فالزمن إذاً نسبي ، والله **U** يقول: { تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ }^(١) وهذه الآية لم تحدد من أين يبدؤون ، ولا أين ينتهون.

وفي آية أخرى يقول الله **U**: { يَذُرُّ الْأَمْزِجَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرِجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ }^(٢) فلا تعارض بين ألف سنة ، وبين هذه الأخرى ، لأنه في الأولى لم يُعرف البداية ولا النهاية ، ولكن في الأخرى حددت البداية والنهاية.

وعن أبي ذر **t** قال: قرأ رسول الله **e**: { هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ }^(٣) حتى ختمها ثم قال: (إني أرى مالا ترون وأسمع مالا تسمعون أظت السماء وحق لها أن تظط) الأظيط: صوت يصدر من السماء ، من كثرة الملائكة التي عليها (مافيها موضع أربع أصابع ، إلا وفيه ملك واضع جبهته ساجداً لله)^(٤).

وقد صعد النبي **e** ليلة المعراج إلى السماء الأولى ومعه جبريل عليه السلام ، فلما جاء على باب الحفظة قالوا: من معك يا جبريل ؟ قال: معي محمد. قالوا: وقد بعث عليه الصلاة والسلام. وعندها فُتِحَ واستقبلته الملائكة بالبشر والسرور عليه الصلاة والسلام، ورأى من أنبياء الله ما رأى ؛ إبراهيم وموسى وعيسى وزكريا ويحيى وغيرهم في كل سماء من هذه السماوات حتى

(١) سورة المعارج آية [٤] .

(٢) سورة السجدة آية [٥] .

(٣) سورة الإنسان آية [١] .

(٤) رواه الترمذي (٢٣١٢) ، والحاكم (٤ / ٥٤٤ ، ٥٧٩) وقال: صحيح الإسناد.

وصل إلى البيت المعمور ، وهو بيت يقابل الكعبة في السماوات العلى ، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، لا يعودون إليه إلى يوم القيامة مرةً أخرى ، لكثرة الملائكة الكرام ؛ ملك واسع عظيم ، ورأى جبريل على حقيقته وله ستمائة جناح ما بين الجناح والجناح كما بين السماء والأرض .

هذا هو ربنا الذي نُقَصِّرُ في طاعته ، ونضع الصلوات والعبادات والأوامر التي أمرنا بها سبحانه ، وهذا ملكه ونحن لا نعرف أننا نقصر مع إله عظيم كبير سبحانه وتعالى .

وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقول عند الكرب: (لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم)^(١) ثم يدعوا ؛ فهذا الدعاء عند الكرب مستجاب بأمر الله تبارك وتعالى .

وعن عثمان بن عفان **t** قال: قال رسول الله ﷺ : (ما من عبدٍ يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة: باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات فيضره شيء)^(٢) ، إذا ذكرت هذا الدعاء في الصباح وفي المساء لا يضرك شيء بأمر الله تبارك وتعالى .

(١) رواه البخاري (٦٣٤٦) ، ومسلم (٢٧٣٠) .

(٢) رواه أبو داود (٥٠٨٨) ، وابن ماجه (٣٨٦٩) ، والترمذي (٣٣٨٨) وقال: حديث حسن غريب صحيح . والحاكم (١ / ٥١٤) وقال: صحيح الإسناد .

وفي الحديث الحسن عن عبد الله بن مسعود **t** قال: قال رسول الله **e**:
(إذا تخوف أحدكم السلطان فليقل: اللهم رب السماوات السبع ورب
العرش العظيم ، كن لي جاراً من شر فلان بن فلان — يعني: الذي يريد —
وشر الجن والإنس وأتباعهم ، أن يفرط عليّ أحد منهم ، عز جارك وجل
ثناؤك ولا إله غيرك)^(١).

والأدعية التي جاءت في هذا الباب وذكرت السماوات والأرض كثيرة ،
ولكننا نكتفي بما ذكرناه.



(١) قال المنذري في <الترغيب> (٣٣٠٨) : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح إلا جنادة بن مسلم ، وقد وثق ، ورواه الأصفهاني وغيره موقوفاً على عبد الله ؛ لم يرفعه.

قوله تعالى:

{ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ } {

قوله **U**: { مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ } ، وهذا بعد قوله تعالى:

{ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ } وهناك مناسبة: فبعد أن ذكر أن له ملك

السموات والأرض تبارك وتعالى ، بين أيضاً: أن له ملك الدار الآخرة ، وأنه لا يتصرف متصرفاً يوم القيامة ، ويوم البعث والنشور إلا بإذنه ؛ كما قال

سبحانه وتعالى: { يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُنَّ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ }^(١) لا يتكلم متكلم —

بجرد الكلام — إلا بإذنه تبارك وتعالى ، وكما قال سبحانه وتعالى: { وَخَشَعَتِ

الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا }^(٢).

وتأتي هذه الآية: { مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ } والمعنى: من هذا

الذي يتجرأ ويشفع ويطلب الشفاعة من غير إذنه تبارك وتعالى !؟.

وقد جاءت آيات كثيرة بهذا المعنى ، منها قوله **U**: { يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ

الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا }^(٣) فلا تنفع الشفاعة ولا تقبل

(١) سورة هود آية [١٠٥].

(٢) سورة طه آية [١٠٨].

(٣) سورة طه آية [١٠٩].

ولا يُسمح بها ؛ إلا لمن أذن له الرحمن ؛ ملكٌ كاملٌ ، سلطةٌ كاملةٌ ، قدرةٌ كاملةٌ ، وهي لمن له ملك السماوات والأرض.

وقوله **U**: { وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى }^(١).

وقوله **U**: { أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْلَوْكَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ }^(٢) قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا^(٣).

فالشفاعة يوم القيامة بيد الله وحده ، ولا يشفع من يشفع إلا بإذن الله ، إذاً لا يرجو الشفاعة إلا من أَرْضَى اللهُ ، إلا من قصد الله تبارك وتعالى ، أما من قصد غير الله تبارك وتعالى ، فلا شفاعة له ، وهي إشارة إلى عبدة الأوثان الذين قالوا: { مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى }^(٣) وكانوا يأملون ويرجون في شفاعة أوثانهم وأصنامهم لهم يوم القيامة ؛ ينتظرون شفاعتهم ، فَرَدَّ اللهُ هَذَا الكلام عليهم.

وقال الله تبارك وتعالى كذلك: { قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُمْ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ }^(٤) وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا

(١) سورة النجم آية [٢٦] .

(٢) سورة الزمر آية [٤٣ - ٤٤] .

(٣) سورة الزمر آية [٣] .

فُرِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبِّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ } (١) هذه بعض الآيات ، وهناك آيات كثيرة غيرها في هذا المعنى.

وهناك آيات أخرى تتكلم عن السكوت بين يدي الله تبارك وتعالى ، حتى مجرد الكلام لا يكون إلا بأمر الله تبارك وتعالى ، وإلا يأذن الله U .

قال سبحانه وتعالى : { رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا } (٢) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أُذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا } (٣) فهو يعلم من يقول الصواب فيأذن له تبارك وتعالى.

ومعنى الشفاعة كما بينها العلماء شرعاً: هي طلب الرسول e ، أو غيره — من الأنبياء والصالحين — من الله U في الدار الآخرة حصول منفعة لأحدٍ من الخلق.

وهذا التعريف يشمل الشفاعة العظمى للنبي e للعالمين أجمعين ، الشفاعة العظمى للمسلمين والكافرين من شدة هول يوم القيامة ، حتى يقول قائلهم: يارب ولو إلى النار ؛ من شدة ذلك الموقف والعياذ بالله U ؛ يريدون الخلاص ولو إلى النار !!.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله عند قوله U : { مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ } إِلَّا بِإِذْنِهِ } قال: (هذا من عظمته وجلاله وكبريائه U ، أنه لا يتجاسر أحد على أن يشفع عنده إلا بإذنه له في الشفاعة) (٣).

(١) سورة سبأ آية [٢٢ - ٢٣] .

(٢) سورة النبأ آية [٣١ - ٣٨] .

(٣) <تفسير ابن كثير> (٢ / ٦٢٤) .

ونقل صاحب تفسير المنار عن الإمام محمد عبده أنه قال في قوله تعالى: { مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ } قال: (... بيان انفراده تعالى بالسلطان والملك ، وعدم جراءة أحد من عبيده من الشفاعة أو التكلم بدون إذنه ، وإذنه غير معروف لأحد من خلقه)^(١).

وقال الإمام القرطبي رحمه الله: (تقرر من هذه الآية: { مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ } أن الله يأذن لمن يشاء في الشفاعة ، وهم الأنبياء والعلماء والمجاهدون والملائكة وغيرهم ممن أكرمهم الله تبارك وتعالى وشرفهم ، ثم لا يشفعون إلا لمن ارتضى)^(٢).

أما أول الشفعاء وسيدهم فهو محمد e ؛ أول شافعٍ وأول مُشَفَّعٍ ، أول من يشفعُ ، وأول من تُقبل شفاعته ؛ هو محمد e صاحب لواء الحمد ، الذي سبيعه ربه تبارك وتعالى مقاماً محموداً ؛ قال U: { عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً }^(٣) والمقام الحمود: هو مقام الشفاعة.

جاء في حديث الشفاعة الطويل ، ونأخذ جزءاً منه: بعد أن يأتي الناس كلهم إلى آدم وإلى نوح وإلى إبراهيم وإلى موسى وإلى عيسى عليهم جميعاً صلوات ربي وسلامه ، يطلبون أن يشفع أحد منهم إلى الله تبارك وتعالى ليبدأ الحساب ، ويتخلصون من موقف يوم القيامة ، فكل منهم يلقيها على أخيه ، حتى تصل إلى محمد e (فيأتون محمداً e فيقولون: يا محمد أنت رسول الله) الكل يعترف يوم القيامة أنه رسول الله ، رغم أنهم هنا في الدنيا - غير المسلمين -

(١) <تفسير المنار> (٣ / ٣١) .

(٢) <تفسير القرطبي> (٣ / ١٧٨) ط. دار الكتب العلمية.

(٣) سورة الإسراء آية [٧٩] .

لا يعترفون برسالته ، ولكنهم يوم القيامة ، يوم يكشف لهم عن كل شيء يعترفون ؛ (أنت رسول الله ، وخاتم الأنبياء ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟!) قال **e** : (فأطلق فآتي تحت العرش فأخر ساجداً لربي **U** ، ثم يفتح الله **U** عليّ من المحامد والثناء ما لم يفتحه علي أحد قبلي) فلا الأدعية التي دعى بها الناس على مرّ الزمان والدهور ، ولا المحامد التي حمد الناس بها ؛ يُدخِرُ له محامد خاصة بذلك المقام العظيم ، وثناء خاص في ذلك اليوم العظيم ؛ لم يفتحه علي أحد قبله **e** (ثم يقال: يا محمد ! ارفع رأسك ، وسل تعط ، واشفع تُشفع) فيكون أول شافعٍ **e** ؛ يقول عليه الصلاة والسلام: (فأرفع رأسي وأقول: أمّتي يارب ، أمّتي يارب) همّه الأول أمته عليه الصلاة والسلام ، الذين لهجت ألسنتهم بذكر الله ، وبالصلاة على رسول الله **e** ، فيقول الله **U** : (يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة) باب خاص بأهل أمة محمد **e** ، الذين لا حساب عليهم ، (وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب) ثم قال **e** : (والذي نفسي بيده إن ما بين مصراعين من مصارع الجنة) ما بين أبواب الجنة (لكما بين مكة وحمير) أو كما بين مكة وبصرى ^(١) ، كما بين مكة واليمن ، ومكة والشام ، حتى نعرف كثرة من يدخله من عباد الله تبارك وتعالى .

وفي رواية: (فأقول ياربّ ! ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله ! فيقول: وعزتي وجلالي ، وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله) ^(٢) .

(١) رواه البخاري (٤٤٣٥) ، ومسلم (١٩٤) واللفظ هنا لمسلم .

(٢) رواه البخاري (٧٥١٠) .

وفي الحديث أيضاً عن أنس بن مالك **t** قال: قال رسول الله **e**:
(شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) ^(١).

إذاً أول من يشفع هو النبي عليه الصلاة والسلام ، ويشفع الشفاعة العظمى للبشر ، ثم الشفاعة لمن قال لا إله إلا الله ، ومن ابتلي من أهل الشهادتين بالمعاصي والكبائر كما هي عقيدة أهل السنة والجماعة ؛ أن أهل الكبائر لا يخلدون في النار ، لماذا ؟ لكلمة التوحيد ؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله **e**.

ثم يشفع الأنبياء ، يأتي بعد ذلك إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء كما جاء في الحديث الصحيح ، عن أبي سعيد **t** ، عن النبي **e** وفيه :
(... ثم يقول الله **U** : شفعت الملائكة ، وشفع الأنبياء ، وشفع المؤمنون ، وبقي أرحم الراحمين) قال : (فيقبض قبضة من النار ، أو قال : قبضتين ؛ ناسٌ لم يعملوا لله خيراً قط ، قد احترقوا حتى صاروا حمماً) أصبحوا فحماً من النار (فيؤتى بهم إلى ماء يقال له : ماء الحياة ، فيصَّبُ عليهم ، فينبئون كما تنبت الحبة في حميل السيل ، فيخرجون من أجسادهم مثل اللؤلؤ ، في أعناقهم الخاتم : عتقاء الله) ، قال : (فيقال لهم : ادخلوا الجنة فما تمنيتم أو رأيتم من شيء فهو لكم عندي أفضل من هذا) ، قال : (فيقولون : ربنا وما أفضل من ذلك ؟) ، قال : (فيقول : رضائي عليكم فلا أسخط عليكم أبداً) ^(٢).

(١) رواه أبو داود (٤٧٣٩) ، والترمذي (٢٤٣٥) ، وابن ماجه (٤٣١٠) . وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه .

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٩٥ / ٣) ، وقال محققو المسند : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

وهذه آخر الشفاعات ؛ شفاعاة أرحم الراحمين ، ورب العالمين ، وأكرم الأكرمين سبحانه وتعالى ؛ جل جلاله ، وعظم نواله ، وتبارك اسمه ، وتعالى جده ، ولا إله غيره ، وهم خلقه ، يفعل فيهم ما يشاء.

وهذا بعد شفاعاة الملائكة ، والنبيين ، أي أن الأنبياء يشفعون ، ثم الملائكة وقد بينت الآيات شفاعتهم ؛ كما قال سبحانه وتعالى: { **وَكَرَّمْنَا مَلَكِي فِي السَّمَوَاتِ لَا تَعْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى** } (١)؛ فيشفع جبريل وإسرافيل وميكائيل وغيرهم من ملائكة الرحمن تبارك وتعالى ، ممن تمر عليهم عبادة العابدين ، ودعاء الداعين ، واستغفار المستغفرين ، وقيام الليل للمتجهدين ، تمر عليهم كل يوم هذه صلاة فلان ، وهذا صوم فلان ، وهذه عبادة فلان.

ثم يشفع الشهداء ؛ والشهداء هم الذين جاهدوا في سبيل الله تبارك وتعالى جهاداً خالصاً لا رياء فيه ولا سُمعة.

عن المقدم بن معد يكرب **t** قال: قال رسول الله **e**: (للشهيد عند الله ست خصال ...) وذكر منها: (**وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقْرَبِهِ**) (٢).

والشهداء أولهم من قتلوا في سبيل الله تبارك وتعالى ، ثم يأتي من الشهداء أنواع كثيرة ، منهم: من قتل دون ماله يدافع عن ماله ، ومن قتل دون دمه يدافع عن نفسه ، ومن قتل دون عرضه يدافع عن أهله هؤلاء شهداء ، والمطعون والمبطون والغريق والهديم — الذي تهدم عليه البيت ونحوه — والذي

(١) سورة النجم آية [٢٦] .

(٢) رواه ابن ماجة (٢٧٩٩) ، والترمذي (١٦٦٣) وقال: حديث صحيح غريب.

يموت في سبيل الله — في الحج ، في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى ، في خدمة المسلمين — وصاحب ذات الجنب — وهو مرض معروف — والمرأة التي تموت بجمع — وهي حامل ، كل هؤلاء شهداء.

وذكر ابن حجر رحمه الله تبارك وتعالى: من وقصه فرسه أو بعيره — وكأنه يدخل فيه من مات في حوادث هذه السيارات نسأل الله U أن يجيرنا وإياكم — أو لدغته هامة ، أو مات على فراشه على أي حتف شاء الله U ، وموت الغريب — الذي يموت غريباً في أرض غربة —، والمرابط في سبيل الله ، واللديغ ، والشريق ، والذي يفترسه السبع ، والخارُّ عن دابته ، والمائدُّ في البحر الذي يصيبه القيء ، ومن طلب الشهادة بنية صادقة ؛ فكل هؤلاء شهداء لا تنطبق عليهم أحكام الشهداء في الدنيا — أي يُعَسَّلُونَ ، ويُصَلَّى عليهم ، ويدفنون ؛ لا يعاملون كالشهداء الذين ماتوا في سبيل الله ، ولكنهم في الآخرة مثلهم في الأجر والثواب ، والله أعلم.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله بعد أن ذكر الأحاديث التي تدل على إثبات فضل الشهادة لهؤلاء الذين سبق ذكرهم ؛ قال: (ويتحصل ما ذكر في هذه الأحاديث أن الشهداءَ قسماً: شهيدُ الدنيا ، وشهيدُ الآخرة وهو من يقتل في حرب الكفار مقبلاً غيرَ مدبرٍ مُخلصاً. وشهيدُ الدنيا وهو من ذُكر ؛ بمعنى أنهم يُعطون من جنس أجر الشهداء ، ولا تجري عليهم أحكامهم في الدنيا) اهـ (١).

(١) <فتح الباري> (٦ / ٥٢) .

وأما بالنسبة للشفاعة فالله تبارك وتعالى أعلم؛ لأنه لم يذكر دليل في ذلك، هل يشفعون كما يشفع الشهيد المجاهد في سبيل الله تبارك وتعالى؟ فالله **U** أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين، ورب العالمين.

ثم أخيراً شفاعة المؤمنين: يشفع المؤمنون بعضهم في بعض، المؤمن المحافظ على الطاعات، المحتب للمحرمات، كما جاء في الحديث المتفق عليه وهو حديث طويل نأخذ جزءاً منه (يقولون:) هؤلاء المؤمنون (ربنا إخواننا، يصلون معنا، ويصومون معنا، ويعملون معنا، فيقول الله تبارك وتعالى: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقالَ دينارٍ من إيمانٍ فأخرجوه) أي من النار، (ويُحَرِّمُ اللهُ صورهم على النار، فيأتونهم وبعضهم قد غاب في النار إلى قدمه، وإلى أنصاف ساقيه) والعياذ بالله **U** (فيخرجون من عرفوا) ليس أقاربهم وإنما المؤمنين الذين صلوا معهم وصاموا معهم وحجوا واعتمروا معهم) ثم يعودون، فيقول الله تبارك وتعالى: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقالَ نصفِ دينارٍ فأخرجوه. فيخرجون من عرفوا، ثم يعودون، فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرةٍ من إيمانٍ فأخرجوه، فيخرجون من عرفوا)^(١).

والذين يشفعون هنا هم: أهل الطاعة؛ الصلاة، والصيام، وقراءة القرآن، وذكر الله، وطاعة الرحمن تبارك وتعالى، هؤلاء هم الذين يشهدون ويشفعون. وهناك أعمال صالحة كثيرة تشفع لصاحبها عند الله تبارك وتعالى يوم القيامة، ولا يتسع المقام لذكرها جميعاً؛ منها القرآن والصيام، ففي الحديث: (الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة) نسأله **U** أن يكون الصيام والقرآن شفيعين لنا يوم الحسرة والندامة.

(١) رواه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري **t**.

ومنها: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فهي تشفع لصاحبها، وخاصةً من قالها خالصاً من قلبه.

ومن صلى على النبي ﷺ كل يومٍ عشر مرات في الصباح ، وعشر مرات في المساء حَلَّتْ له شفاعته النبي ﷺ.

ومن سمع المنادي ينادي للأذان فقال: (اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته) حَلَّتْ له شفاعته النبي ﷺ يوم القيامة.

نسأله تبارك وتعالى أن يجعلنا من شفعائه عليه الصلاة والسلام ، يوم العرض على الله تبارك وتعالى ، إنه على كل شيءٍ قدير.



قوله تعالى:

{ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ }
وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ {

قوله U: { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ } وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ

{ إِلَّا بِمَا شَاءَ } فهذه الآية تتضمن صفةً عظيمة من صفات الله تبارك وتعالى ، وهي صفة العلم ، فكان لا بد من أن تذكر في أعظم آية في كتاب الله تبارك وتعالى .

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى عند قوله U { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ

أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ } : (يعني جل ثناؤه بذلك أنه المحيط بكل ما كان ، وبكل ما هو كائن علماً ، لا يخفى عليه شيء منه — أنه مطلع وعليم بما كان وما

سيكون — ثم نقل عن مجاهد رحمه الله أنه قال: { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ } أي: ما مضى من الدنيا ، { وَمَا خَلْفَهُمْ } أي: أمامهم من الآخرة. وقال ابن جريج:

{ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ } أي ما مضى أمامهم من الدنيا — الأيام التي ذهبت — ،

{ وَمَا خَلْفَهُمْ } ما يكون بعدهم من الدنيا والآخرة (١). ما يكون من الأيام

القادمة ، من اللحظات القادمة ، من السنين القادمة ، من الدهور القادمة ، مع

ما ينتظرهم من أمر الآخرة ، كلها يدخل في قوله تعالى: { وَمَا خَلْفَهُمْ } .

(١) <تفسير الطبري> (٤ / ٥٣٥) بتصرف.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: ({ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ } دليل على إحاطة علمه بجميع الكائنات ؛ ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، كقوله تبارك وتعالى إخباراً عن الملائكة: { وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ هَمِيمًا } (١).

وقال الألوسي رحمه الله: (وقيل في تفسير هذه الآية: { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ } أي: ما يدر كونه وما لا يدر كونه، أو ما يحسونه ويعقلونه (٢).

{ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ } أي: ما يدر كونه ، وما يحسونه ، { وَمَا خَلْفَهُمْ } : ما لا يدر كونه ، وما لا يحسونه ، فإن ما لا ندركه ، وما لا نحسه ، أكثر مما ندركه ونحسه ، فنحن نرى الناس ، ونرى الأرض ، ولكننا لا نرى الجرات البعيدة ، ولا الكواكب العظيمة ، ولا الملائكة ، ولا الجن ، ولا السماوات العلى ، ولا الجنة ، ولا النار ؛ فإن ما لا نراه وما لا ندركه أكثر مما نراه وندركه.

وقال ابن جرير الطبري رحمه الله: (وأما قوله تعالى: { وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ } فإنه يعني تعالى ذكره: أنه العالم الذي لا يخفى عليه شيء ، محيطةً بذلك كله ، محصيةً له دون سائر من دونه ، وأنه لا يعلم أحدٌ سواه شيئاً إلا ما شاء هو أن يعلمه (٣).

(١) <تفسير ابن كثير> ، (٢ / ٦٢٥) ، والآية من سورة مريم [٦٤] .

(٢) <روح المعاني> (٢ / ١٠) ط. دار الكتب العلمية.

(٣) <تفسير الطبري> (٤ / ٥٣٦) .

فالعلم الذي لدى الناس هو علم أذن الله لنا أن نتعلمه، وشاء لنا أن نعلمه،
 ويسر لنا سبحانه وتعالى بعد إذنه وعلمه أن نتعلمه ، وهو علم قليل في علم الله
 تبارك وتعالى ؛ { وَهَسَّبْنَاهُ مِنْ دُونِكَ أَنَّ الْمَوْلَىٰ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ
 الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا }^(١) فقد يُعزُّ الإنسان ويندهش بما يراه من العلوم الحديثة ،
 والتقنيات الحديثة في الاتصالات ، وفي الطيران ، وفي الفضاء ، وفي الطب ؛
 يندهش ويستعجب ويستغرب ، ولكن كل هذا العلم الذي يندهش به الإنسان
 ويستغرب ؛ يدخل في العلم القليل الذي هو من علم الله تبارك وتعالى ، ولم
 يتعلمه الإنسان إلا بما شاء ، فهو الذي أذن للإنسان أن يتعلم هذا العلم ؛
 سبحانه وتعالى .

وقال ابن جرير أيضاً: (إنما يعني بذلك أن العبادة لا تنبغي لمن كان
 بالأشياء جاهلاً ، فكيف يُعبدُ من لا يعقل شيئاً البتة من وثن وصنم ؟! ، يقول:
 فأخلصوا العبادة لمن هو محيط بالأشياء كلها ، يعلمها ، لا يخفى عليه صغيرها
 وكبيرها)^(٢) .

وقد ورد اسم العليم — وهو مبالغة من كثرة العلم — في القرآن الكريم
 في (١٥٠) موضعاً .

وهناك آيات كثيرة في كلام الله U تحدثت عن العلم ، أو علم الله تبارك
 وتعالى ، منها قوله U : { إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا } ، وقوله

(١) سورة الإسراء آية [٨٥] .

(٢) <تفسير الطبري> (٤ / ٥٣٦) .

تبارك وتعالى: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (١)، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يُعْزِبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ﴾ لا يبعد عنه ولا يغفل عنه ﴿ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ يَجْهَرُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ (٣)، وقوله تعالى: ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ﴾ (٤)، وقوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ (٥)، وقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالَى ﴿ (٦)، وقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّهُ اللَّهُ عَلِيمُ الْغُيُوبِ ﴾ (٧)

(١) سورة الأنعام آية [٥٩] .

(٢) سورة سبأ آية [٣] .

(٣) سورة طه آية [٧] .

(٤) سورة البقرة آية [٢٣٥] .

(٥) سورة المائدة آية [٩٧] .

(٦) سورة الرعد آية [٨ - ٩] .

(٧) سورة التوبة آية [٧٨] .

وقوله تعالى: { قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ }^(١) ، وقوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }^(٢) ، وقوله تعالى: { تَعَزَّوْنَ إِلَىٰ عِلَاقِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }^(٣) وأخيراً قوله تعالى: { اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِيعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا }^(٤) ، أي: ليس عالماً أو عليماً فحسب ؛ بل هو محيط بكل شيء ، صغيراً أو كبيراً ، سواءاً كانت ذرة فهو محيط بها وبمكوناتها ، أو كانت مجرة فهو محيط بها وبمكوناتها ، سبحانه وتعالى.

وهناك من أسماء الله **U** ما يتعلق بهذا الاسم ؛ بصفة العلم واسم العليم ، فالعليم هو ذو العلم الكامل ، فهو شامل لجميع المعلومات ، محيط سابق على وجودها ، لا تخفى عليه خافية. ومن هذه الأسماء أيضاً: اللطيف ، ومعنى اللطيف: أي أنه يعلم خفيات الأمور ودقائقها ، قال تبارك وتعالى: { أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ }^(٥).

(١) سورة الفرقان آية [٦] .

(٢) سورة لقمان آية [٣٤] .

(٣) سورة الجمعة آية [٨] .

(٤) سورة الطلاق آية [١٢] .

(٥) سورة الملك آية [١٤] .

اللطيف الذي يعلم الدقائق ، والخير أي: العالم بيوطن الأمور وأسرارها سبحانه وتعالى ؛ الذي لا يعزب عنه شيء ، قال تعالى: { لَا تَدْرِكُهُ الْآبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ } (١).

والشهيد أيضاً من العلم ، أي: العليم بالأشياء عن شهودٍ وحضور ، قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا } (٢) سبحانه وتعالى.

ومنها: الحسيب ، من المحاسبة والحساب والعدل ؛ الذي يجاسب على كل صغيرة وكبيرة ، قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا } (٣).

والمحصي أيضاً من الأسماء التي لها صلة بالعلم ؛ وهو المحيط بكل موجود جملةً وتفصيلاً ، قال تعالى: { وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ } (٤).

ومنها السميع ، أي: الكاشف لكل موجودٍ بسمعه ، والبصير: الكاشف لكل موجودٍ ببصره ، قال تعالى: { إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } (٥).

ومن هذه الأسماء أيضاً: الرقيب ؛ الذي يراقب الأشياء وهو يعلم بها ، قال جل وعلا: { وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا } (٦).

(١) سورة الأنعام آية [١٠٣].

(٢) سورة النساء آية [٣٣] ، وسورة الأحزاب آية [٥٥].

(٣) سورة النساء آية [٨٦].

(٤) سورة يس آية [١٢].

(٥) سورة الإسراء آية [١] ، وسورة غافر آية [٥٦].

(٦) سورة الأحزاب آية [٥٢].

والمهيمن أيضاً: بمعنى المراقب والمشاهد ، فهي من العلم.
والواسع إذا أخذناه بمعنى: سعة العلم ؛ فهو سبحانه وتعالى الواسع بعلمه ، المحيط به.
والمؤمن: وهو البالغ منتهى العلم اليقيني في كل شيء ، فلا شك في شيء
من مخلوقاته سبحانه وتعالى ، ولا يظن ولا يشك فيها.

وفي الحديث الصحيح عن أبي بن كعب **t** أنه سمع رسول الله **e** يقول:
(قام موسى عليه السلام خطيباً في بني إسرائيل فسئل ؛ أي الناس أعلم ؟
فقال: أنا أعلم . فعتب الله تبارك وتعالى عليه لأنه لم يرد العلم إليه ، فقال له:
(بلى لي عبد بمجمع البحرين هو أعلم منك) وهو الخضر الذي جاء في سورة
الكهف ، ثم ذكر قصة الخضر مع موسى عليهما السلام حتى جاء فيها —
وموسى مع الخضر في السفينة — أن عصفوراً وقع على حرف السفينة —
جلس على طرف السفينة — فنقر في البحر نقرة ، أو نقرتين ، فقال الخضر
عليه السلام: يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله ، إلا مثل ما
نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر ^(١) . كان هذا المثل العظيم والرائع ،
ليفهم الإنسان ويعلم قدر علم الله تبارك وتعالى بالقياس إلى علم البشر والناس
جميعاً ، مهما بلغوا من التقدم والعلوم ، فكلها علوم بسيطة ويسيرة ، فإذا
كانت الطائرات والصواريخ ، فالله تبارك وتعالى تعرج الملائكة والروح إليه في
يومٍ واحد ، ولكنه في أيامكم يساوي خمسين ألف سنة ؛ كما قال تعالى:
{ تَعْرَجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ } ^(٢) لو

(١) رواه البخاري (٣٤٠١) ، ومسلم (٢٣٨٠) .

(٢) سورة المعارج آية [٤] .

أردنا بطائراتنا وصواريخنا أن نصل إليها ؛ لوصلنا بعد خمسين ألف سنة ،
وتصلها ملائكة الرحمن بعلم الله سبحانه وتعالى الدقيق العظيم الهائل في يومٍ
واحد ، سبحانه وتعالى ؛ ما أعظمه ؟! وما أكبره ؟! (ما نقص علمي وعلمك
من علم الله إلا كما نقص هذا العصفور بما أخذه من البحر) وهل أخذ من
البحر شيئاً ؟! هل أخذ العصفور من البحر شيئاً ؟! لا يُعدُّ ولا يذكر ما أخذه
العصفور من البحر شيئاً ، فهو لم يأخذ شيئاً يذكر ، وكذلك الناس ، وكذلك
علومهم لا تساوي في علوم الله تبارك وتعالى شيئاً يذكر .

وفي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ
يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها ، كما يعلمنا السورة من القرآن ، يقول: (إذا
همَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ، ثم ليقل: اللهم إني
أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك
تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم
أن هذا الأمر خيرٌ لي في ديني ومعاشي ، وعاقبة أمري ، أو قال: عاجل أمري
وآجله ، فاقدِّره لي ، ويسِّره لي ، ثم بارك لي فيه ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر
شرٌّ لي في ديني ودنياي ، وعاقبة أمري ، أو قال: عاجل أمري وآجله ، فاصرفه
عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ، ثم رضني به)^(١) .

وفي هذا الحديث يعلمنا النبي ﷺ أن نلجأ إلى الله تبارك وتعالى ، وإلى علم
الله المحيط بما كان وما سيكون ، وبما هو كائن إلى يوم القيامة ؛ أن نلجأ إليه في
كل صغيرةٍ وكبيرةٍ ، وأن نلجأ إلى علمه تبارك وتعالى ، ونفوض الأمر إليه .

(١) رواه البخاري (٦٣٨٢) .

في هذا تربية عظيمة للمسلم ، أن يستشعر دائماً وهو يستخير الله تبارك وتعالى ، في كل أمر ، ولو بعد كل نافلة استخرت الله في أمر ، وأنت كل يوم تحتاج إلى استخارة ، بل في كل يوم تحتاج إلى الاستخارة مرات ومرات ، فعندما تستخير ؛ تستشعر علمك الصغير ، وتتأكد وتعترف بأن علمك لاشيء مع علم الله تبارك وتعالى ، فإن فعلت ذلك عَلَّمَكَ اللهُ من علمه ، ونور بصيرتك ، وهداك إلى العمل الصواب ، وإلى التصرف الصحيح ، وإلى الحياة السعيدة ، وجنبك وأبعدك عما هو شرٌّ وضلالٌ وفسادٌ وخسارةٌ في الدنيا والآخرة.



قوله تعالى:

{ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ }

قول الحق **U**: { وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ } وهذه الآية إنما سميت بآية الكرسي ، وما ذاك إلا لأن من أعظم ما ذكر فيها شأن الكرسي ؛ { وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ } .

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: الكرسي هو موضع القدمين ، والعرش لا يقدر أحد قدره .

وقال السدي رحمه الله: { وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ } قال: فإن السماوات والأرض في جوف الكرسي ، والكرسي بين يدي العرش ، وهو موضع قدميه . سبحانه وتعالى .

وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لو أن السماوات السبع ، والأرضين السبع ، بُسِطْنَ ثم وُصِلْنَ بعضهنَّ إلى بعض ، ما كنَّ في سَعَةِ الكرسيِّ إلا بمنزلة الحَلَقَةِ في المفازة ^(١) . أي: في صحراء .

ما أجلَّ الله؟! وما أعظم الله تبارك وتعالى؟! وما أكبر جهلنا؟! وما أكثر تقصيرنا؟! وما أعظم غفلتنا عن رب السماوات والأرضين؟! .

وعن الحسن البصري رحمه الله تعالى أنه كان يقول: الكرسي هو العرش .

(١) أورد الآثار المتقدمة ابن جرير الطبري في تفسيره > (٤ / ٥٣٨) .

قال ابن كثير رحمه الله تبارك وتعالى: والصحيح أن الكرسي غير العرش ،
والعرش أكبر منه ، كما دلت على ذلك الآثار والأخبار^(١).

وعن مجاهد — بسند صحيح — قال: (ما السماوات والأرض في
الكرسي ، إلا بمنزلة حلقة ملقاة في الأرض الفلاة)^(٢).

إذا رميت حلقة في فلاة ، هل يراها أحد؟! أو هل تشعر بها في تلك
الصحراء المترامية الأطراف من كل جانب ، الساكنة الهادئة؟! هل تشعر بتلك
الحلقة؟! فما هذه السماوات والأرض على عظمها بالنسبة للكرسي إلا كحلقة
ملقاة في صحراء!!.

علماء الفلك يذكرون أن عدد النجوم في مجرة واحدة فيها الشمس والقمر
والزهرة وزحل والمريخ وغيرها من الكواكب — مجرة واحدة — فيها أكثر من
مائة ألف مليون نجم ؛ هذا كلام علماء الفلك الذين يدرسون ويحسبون ،
بحساباتهم. يقدرون هذه التقديرات ؛ مائة ألف مليون نجم ، وهناك أكثر من
مائة ألف مجرة ، وهذا كله في السماء الدنيا ، فكيف ببقية السموات.

لما نزل قوله تعالى: { وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ } قال أصحاب النبي
e: يا رسول الله ، هذا الكرسي وسع السماوات والأرض ، فكيف العرش؟
فأنزل الله تبارك وتعالى: { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ }^(٣).

(١) <تفسير ابن كثير> (٢ / ٦٢٦) .

(٢) <الأسماء والصفات> للبيهقي ، (٢ / ٣٠١ ، ٣٠٢) ، وقال محققه : صحيح عن مجاهد .

(٣) أورده ابن جرير الطبري في <تفسيره> (٤ / ٥٣٩) ، والآية من سورة الزمر آية [٦٧] .

لا يستطيع أي إنسان أن يعرف حجم عرش الرحمن تبارك وتعالى ، إذا كانت السماوات السبع مطويات بيمينه ، والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ؛ فكيف سيكون العرش؟! ، سبحانه وتعالى عما يشركون.

عن عبد الله بن مسعود **t** قال: (ما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام ، ثم ما بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام ، وغلظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام ، ثم ما بين السماء السابعة وبين الكرسي خمسمائة عام ، وما بين الكرسي والماء خمسمائة عام ، والكرسي فوق الماء ، والله تعالى فوق العرش ، ولا يخفى عليه شيء من أعمالكم)^(١) ؛ سبحانه وتعالى عما يشركون. واستواؤه **U** استواء معلوم ، ولكن الكيف مجهول ، فهو استواء كما يليق بجلاله تبارك وتعالى وعظمته وكبريائه.

وعن مجاهد أنه قال في قوله تبارك وتعالى: { وَفَرَّقْنَاهُ يُحْيِيًا } — في موسى عليه السلام — قال: (بين السماء السابعة وبين العرش سبعون ألف حجاب ، حجاب نور ، وحجاب ظلمة ، وحجاب نور ، وحجاب ظلمة ، فما زال يُقَرَّبُ موسى حتى كان بينه وبينه — أي: بينه وبين الله — حجاب واحد ، وسمع صرير القلم ، قال: رب أرني أنظر إليك)^(٢).

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله **e**: (أذن لي أن أحدث عن ملكٍ من ملائكة الله تعالى ، من حملة العرش: أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه ، مسيرة سبعمائة عام)^(٣).

(١) <الأسماء والصفات> للبيهقي (٢ / ٢٩١ ، ٢٩٢) ط. السوادي. وقال محققه: إسناده حسن.

(٢) <الأسماء والصفات> للبيهقي (٢ / ٢٩٤) وقال محققه: إسناده صحيح رجاله كلهم ثقات.

(٣) رواه ابو داود (٤٧٢٧) في السنة. وقال محقق <جامع الاصول> (٤ / ١٩): إسناده حسن.

عظمةٌ وقدره إلهية ؛ سبحانه وتعالى ، ولذلك كانت هذه الآية أعظم آيةٍ في كتاب الله تبارك وتعالى ، لاشتمالها على هذه الآيات والمخلوقات .

وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة **t** قال: قال رسول الله **e**: (... فإذا سألتهم الله فاسألوه الفردوسَ ، فإنه أوسطُ الجنةِ ، وأعلى الجنةِ ، وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تَفَجَّرُ أنهار الجنة) ^(١) نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من أهل الفردوس الأعلى بفضلِهِ وكرمه ومَنِّهِ .

وعن أبي هريرة **t** قال: (لما قضى الله الخلق ، كتب في كتابه ، فهو عنده فوق العرش ، إن رحمتي سبقت غضبي) ^(٢) .

قال تعالى: { وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ } ^(٣) كما ذكرت الآية كل شيء ؛ فرحمة الله واسعة ، سبحانه وتعالى يرحم بها من يشاء من عباده ، والراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء .

وفي الحديث الحسن عن علي بن أبي طالب **t** قال: (أول من يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام والنيبي **e** وهو على يمين العرش) .

وفي الحديث الحسن لما قَدِمَ جعفرُ بنُ أبي طالب من أرض الحبشة قال له رسول الله **e**: (ما أعجب شيءٍ رأيته هناك ؟) قال: رأيت امرأةً على رأسها مكتل من طعام ، فمرَّ بها فارس ، فإذا به يلقي ذلك الطعام من على رأسها ، فقعدت تجمع الطعام ثم التفتت فقالت: يا ويلك يوم يضع الملك الكرسي يوم

(١) رواه البخاري (٧٤٢٣) .

(٢) رواه البخاري (٣١٩٤) ، ومسلم (٢٧٥١) .

(٣) سورة الأعراف آية [١٥٦] .

القيامة) يوم يضع الملك كرسيه فيأخذ للمظلوم من الظالم يوم القيامة ؛ فوضع الكرسي إذن بالحساب والجزاء من الله تبارك وتعالى ؛ الديان الملك **U** ، ثم قال عليه الصلاة والسلام: تصديقاً لهذه المرأة التي أُوذيت من ذلك المتجبر المتكبر ؛ قال **e**: (لا قُدِّسَتْ أُمَّةٌ) لا عظم شأنها ، ولا عظم أهلها ، ولا رفع من كلمتها (لا قُدِّسَتْ أُمَّةٌ لا يأخذ ضعيفها حقه من شديدها) يعني أن الأمة تعيسة ما دام أن الضعيف يأخذ حقه بالمشقة وبالكلفة وبالتعب ، لا قدست هذه الأمة ، ولا عظمت ، ولا بوركت ، والعياذ بالله **U**.

{ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ } ؛ ليتعظ الظالم المتكبر المتجبر ، فيعلم أن رب العزة والجلال تبارك وتعالى سيحكم بين العباد يوم القيامة ؛ الذي وسع كرسيه السماوات والأرض.

وروى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي **e**: كان يدعو عند الكرب ويقول: (لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا اله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم)^(١) ، كان يدعو بهذا الدعاء فيسأل الله تبارك وتعالى بصفته العظيمة ، صلوات ربي وسلامه عليه.

ومن تلك الأدعية الدعاء الذي قاله ذلك المكروب ، الذي جاءه ذاك اللص في سفر ، فأراد أن يأخذ ماله وأن يقتله ، فصلى لله ركعتين ، ثم دعا بهذا الدعاء: (يا ودود ، ياذا العرش المجيد ، يا فعال لما يريد ، أسألك بعزك الذي لا يرام ، ومملكك الذي لا يضام ، ونورك الذي ملأ أركان عرشك ، يا مغيث

(١) رواه البخاري (٦٣٤٦) ، ومسلم (٢٧٣٠) .

أغثني ، يا مغيث أغثني ، يا مغيث أغثني (فأغاثه الله تبارك وتعالى ، وأرسل له ملكاً قضى على ذلك اللص ، كما جاء في تلك القصة المشهورة.

فترى أن الأدعية التي تكون في الكرب وفي الشدة ، وعند ظلم الظالمين ، وبغي البغاة والمتجبرين والمتغطرسين والمتكبرين ، يدعو فيها المسلم بهذه الصفات العظيمة ، ويسأل رب العزة والجلال ، ورب العرش ، ورب الكرسي ، فينصره الله تبارك وتعالى.

{ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ } فهل نتعظ ، وهل نعرف لله U حقه

وقدره ، فنعظم قدر الله تبارك وتعالى ، قال تعالى: { ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعْبِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ } (١).



(١) سورة الحج آية [٣٢] .

قوله تعالى:

{ وَلَا يُؤَدُّهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ }

قوله تبارك وتعالى: { وَلَا يُؤَدُّهُ حِفْظُهُمَا } يعود الضمير على السماوات والأرض الواردة قبلها مباشرة: { وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ } . وتقدم قول ابن عباس رضي الله عنهما الصحيح: أن السماوات والأرض بالنسبة إلى الكرسي كحلقة في فلاة. يعني في صحراء ؛ كحلقة صغيرة في صحراء مترامية الأطراف.

ثم قال سبحانه وتعالى: { وَلَا يُؤَدُّهُ حِفْظُهُمَا } قال ابن جرير الطبري رحمه الله: ({ وَلَا يُؤَدُّهُ } أي: ولا يشق عليه ولا ينقله)^(١).

فبعد أن بينَ عظم وسعة ملكه ، بينَ أن ذلك لا ينقله ولا يشق عليه أن يحفظه ، وأن يعلمه ، وأن يتصرف فيه كما يشاء سبحانه وتعالى.

قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والحسن وغيرهم: يعني لا يتقَلُّ عليه ، ولا يُجهدُه حفظهما ، فهو ميسور سهل عليه.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: ({ وَلَا يُؤَدُّهُ حِفْظُهُمَا } أي: لا ينقله حفظ السماوات والأرض ومن فيهما ، ومن بينهما ، بل كل ذلك سهل عليه ، يسير لديه ، وهو القائم على كل نفس بما كسبت ، — ليس على السماوات

(١) <تفسير الطبري> (٤ / ٥٤٢) .

والأرض فحسب ، بل على كل نفس بما كسبت —، الرقيب على جميع الأشياء ، فلا يعزب عنه شيء ، ولا يغيب عنه شيء ، والأشياء كلها حقيرة بين يديه ، متواضعةٌ ذليلةٌ صغيرةٌ بالنسبة إليه سبحانه وتعالى (١).

والآيات التي تذكر الحفظ كثيرة ، منها:

آيات ذكرت لنا حفظ الله تبارك وتعالى؛ كقوله **U**: { وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ } (٢) يعني: السماوات تولّى حفظها سبحانه وتعالى بنفسه ، فحفظها من كل شيطانٍ رجيمٍ.

وقال تعالى: { فَأَلَلَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ } (٣) فهو خير الحافظين ، وأرحم الحافظين ، سبحانه وتعالى ، وهذا الدعاء الذي دعاه يعقوب لابنه يوسف وبنيامين لما سافرا ، فدعا الله **U** بهذا الدعاء ، فتولّى الله حفظهما رغم المخاطر التي تعرضا لها ؛ قال: { فَأَلَلَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ } ، ولا بأس للمسلم إذا أراد أن يحفظ شيئاً أن يقول هذا الدعاء.

وقال **U**: { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } (٤) تكفل الله بحفظ كتابه العظيم ، وتولّى ذلك بنفسه ، فإذا تولّى حفظ السماوات والأرض ، فحفظهما ومن فيهما وما بينهما ، أيعجزه حفظ كتابه الكريم سبحانه وتعالى؟! وكم حاول أعداء المسلمين على مرّ الأزمنة ، وعلى مرّ الدهور — ألف

(١) تفسير ابن كثير > (٢ / ٦٢٦).

(٢) سورة الحجر آية [١٧].

(٣) سورة يوسف آية [٦٤].

(٤) سورة الحجر آية [٩].

وأربعمئة سنة وهم يحاولون — أن يُغَيِّروا في هذا الكتاب ، حتى حاولوا في سنة من السنين فغَيَّرُوا حرفاً واحداً في المصحف كله ، فوزعوه في بعض بلاد المسلمين البعيدة ، وإذا بحفظة القرآن يخرجون تلك النسخ ويقولون: الناقص حرف واحد ، وتلف كل تلك النسخ ؛ فليطمئن المسلم مهما سمع من محاولات لتحريف كتاب الله تعالى !، فهي عبث ، وهي كمن يثير الغبار على الشمس ، فيأتي الغبار عليه وتبقى الشمس في رابعة النهار مضيئة جليلة ، فلا يقلق المسلم ولا يضجر ؛ لأن الله القادر العظيم يقول: { وَإِنَّا لَنَحْفِظُوكَ } .

ومن آياته في الحفظ قوله تعالى: { إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ } ^(١) ، وقوله سبحانه: { وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ } ^(٢) .

وكذلك الملائكة ؛ والملائكة يحفظون من أراد الله حفظه بأمره سبحانه وتعالى ؛ وهم حفظة كما قال **U**: { إِنَّ كُلًّا لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ } ^(٣) ؛ ملكٌ يحفظها بأمر الله تبارك وتعالى ، وقوله تعالى: { وَإِنَّا عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿٦٦﴾ كِرَامًا كَنِينِينَ } ^(٤) ، وقوله تعالى: { وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً } ^(٥) ، وقوله تعالى: { لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَدِينُ وَرَبُّكَ يُخَفِّضُ الرِّجَالَ وَيَمْسُرُ الْأَعْيُنَ } ^(٦) .

(١) سورة هود آية [٥٧] .

(٢) سورة سبأ آية [٢١] .

(٣) سورة الطارق آية [٤] .

(٤) سورة الأنفطار آية [١٠ - ١١] .

(٥) سورة الأنعام آية [٦١] .

(٦) سورة الرعد آية [١١] .

وكذلك كتابنا ؛ هذا الكتاب العظيم ؛ كتابٌ محفوظ ؛ قال **U** { قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كَنْزٌ حَفِيفٌ }^(١) ، وقوله تعالى: { بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ }^(٢).

والحفيظ من المؤمنين ، هو المحافظُ على أمر الله ، والحافظ لذنوبه ليتوب منها ، والحافظ لحدود الله فلا يتعداها؛ قال تعالى: { وَالشَّاهِدُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ }^(٣) ، وقال تعالى: { هَذَا مَا تُوَعَّدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ }^(٤) ، وقال تعالى: { وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ }^(٥) فمیز الصلاة لأنها رأس الإسلام ، وقال تعالى: { وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ }^(٦) فمیز حفظ الفروج لما فيه من حفظ النسل.

وقال تبارك وتعالى في علاقة المرأة بزوجها: { فَأَلْصَقِ لِحَنَّتْ فَحَبَّبْتَ }^(٧) فمیز حفظ الحنن التي تعقب بما حفظ الله فكل هذه أمور مهمة ، فلذلك أمر الله تبارك وتعالى عباده أن يكونوا من المحافظين المحافظين.

(١) سورة ق آية [٤] .

(٢) سورة البروج آية [٢١ - ٢٢] .

(٣) سورة التوبة آية [١١٢] .

(٤) سورة ق آية [٣٢] .

(٥) سورة المعارج آية [٣٤] .

(٦) سورة المؤمنون آية [٥] .

(٧) سورة النساء آية [٣٤] .

وفي الحديث الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال: (يا غلام ! إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك — وفي رواية: تجده أمامك — إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفَّتِ الصحف)^(١).

هذا نبينا ﷺ يربي الشخصية المسلمة المؤمنة ، التي لا تسجد ولا ترقع إلا لله ، العزيزة بدين الله تبارك وتعالى ؛ (احفظ الله يحفظك) ما معنى ذلك ؟ قال الحافظ بن رجب رحمه الله: (احفظ الله) يعني: احفظ حدوده ، وحقوقه ، وأوامره ، ونواهيه ؛ وحفظ ذلك: هو الوقوف عند أوامره بالامتثال ، وعند نواهيه بالاجتناب ، وعند حدوده ، فلا يتجاوز ما أمر به)^(٢). فكل ذلك من الحفظ.

وقال أيضاً رحمه الله: (وحفظ الله تبارك وتعالى لعبده يدخل فيه نوعان: الأول: حفظه تبارك وتعالى له في مصالح دنياه ؛ كحفظه في بدنه وماله وولده وأهله ، هذا حفظ دنيوي ، قال الله U : { لَهُمْ مَعْشَرَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ }^(٣) أي: يحفظونه بأمر الله، قال ابن عباس t في معنى هذه الآية: هم الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدره خلَّوا عنه^(٤).

(١) رواه أحمد (١ / ٢٩٣) ، والترمذي (٢٥١٦) .

(٢) <جامع العلوم والحكم> ص (٤٦٢) ط. الرسالة.

(٣) سورة الرعد آية [١١] .

(٤) <تفسير الطبري> (١٣ / ٤٥٨) .

وفي الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: لم يكن النبي **e** يدع هؤلاء الدعوات حين يُمسي وحين يصبح: (اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة ، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي ، وأهلي ومالي ، اللهم استر عوراتي ، وآمن روعاتي ، واحفظني من بين يدي ، ومن خلفي ، وعن يميني ، وعن شمالي ، ومن فوقي ، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي)^(١).

وكان بعض العلماء قد جاوز المائة وهو متمتعٌ بقوته وعقله ، فوثب يوماً وثبةً شديدةً ، فعوتب في ذلك ، فقال: هذه جوارحُ حفظناها عن المعاصي في الصغر ، فحفظها الله تبارك وتعالى في الكبر.

وقد يحفظ الله تبارك وتعالى العبدَ بصلاحه بعد موته في ذريته. قال ابن المنكدر رحمه الله تبارك وتعالى: إن الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولدَ ولده والدويرات التي حوله ، فما يزالون في حفظٍ من الله وستر.

وكان ابن المسيب رحمه الله تبارك وتعالى يزيد في صلاته ويقول لابنه: لأزيدنَّ في صلاتي من أجلك ، رجاء أن أُحفظَ فيك ، ثم تلا هذه الآية: { وَكَانَ أَبُوهُمَا صَبِيحًا }^(٢).

ومن عجب حفظ الله تبارك وتعالى لمن حفظه ، أن الله **U** يجعل الحيوانات المؤذية بالطبع حافظةً له من الأذى ، كما جرى لسفينة **t** ، مولى النبي **e** حيث كُسِرَ به المركبُ في البحر ، فخرج إلى جزيرة ، فرأى أسداً ، فجعل ذلك الأسد يمشي معه حتى دلَّه على الطريق ، فلما أوقفه عليه ، جعل يُهمهمُ كأنه يُودِّعه ثم رجع عنه.

(١) رواه أحمد (٢ / ٢٥) ، وأبو داود (٥٠٧٤) ، والنسائي (٨ / ٢٨٢).

(٢) سورة الكهف آية [٨٢].

والنوع الثاني من الحفظ ، وهو أشرف النوعين: حفظ الله U للعبد في دينه وإيمانه ، فيحفظه في حياته من الشبهات المضلة ، ومن الشهوات المحرمة ، ويحفظ عليه دينه عند موته ، فيتوفاه على الإيمان.

قال بعض السلف: إذا حضر الرجل الموت يُقال للملَك: شمَّ رأسه؟، قال: أجد في رأسه القرآن ، فيقول: شم قلبه؟، قال: أجد في قلبه الصيام. قال: شم قدميه؟، قال: أجد في قدميه القيام. فيقول: حفظ نفسه فحفظه الله.

وفي الصحيحين عن النبي e ، في دعاء النوم الذي كان يقول فيه النبي e: (باسمك اللهم وضعت جنبي وباسمك أرفعه ، إن أمسكت نفسي فاغفر لها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين)^(١).

ومن دعائه e (اللهم احفظني بالإسلام قائماً ، واحفظني بالإسلام قاعداً ، واحفظني بالإسلام راقداً ، ولا تُطع فيَّ عدواً ولا حاسداً)^(٢) وفي الجملة فإن الله U يحفظ على المؤمن الحافظ لحدوده دينه ، ويجول بينه وبين ما يُفسد عليه دينه بأنواعٍ من الحفظ)^(٣).

وفي قصة الشيطان مع أبي هريرة t في صحيح البخاري ، والتي قال فيها الشيطان لأبي هريرة: إذا آويت إلى فراشك فاقراً آية الكرسي { اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ... } حتى تختمها فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ؛ هذا حافظ إضافي ببركة قراءة آية الكرسي ، وكيف لا وفيها الكلمات العظيمة

(١) رواه البخاري (٦٣٢٠) ، ومسلم (٢٧١٤) من حديث أبي هريرة t .

(٢) رواه ابن حبان (٩٣٤) من حديث عمر ابن الخطاب t .

(٣) <جامع العلوم والحكم> ص (٤٦٥ - ٤٦٩) بتصرف .

{ وَلَا يُتَوَدَّدُ حِفْظُهُمَا } قال: فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح.

قال ابن كثير رحمه الله في قوله **U**: { وَلَا يُتَوَدَّدُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ } قال: (هي كقوله تعالى: { الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِي } ، وهذه الآيات وما فيها من الأحاديث الصحاح ؛ الأجودُ فيها طريقة السلف: إمرارها كما جاءت ، من غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ ولا تشبيهٍ)^(١)؛ كما قال ذلك الإمام مالك رحمه الله لما سئل عن الاستواء فقال: الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة.

فنؤمن بها من غير تمثيلٍ ولا تكييفٍ ، ولا تشبيهٍ ولا تعطيلٍ ، ونقول: { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }^(٢) سبحانه وتعالى.

وهذه هي آية الكرسي ، فما أحرانا أن نحافظ عليها. عند النوم ، لأن النوم وهو الموتة الصغرى ، وأن نحافظ عليها بعد الفروض لأننا سنلقى الله تبارك وتعالى ولا بد بعد فرضٍ من الفروض ، فلتكن خاتمتنا بقراءة هذه الآية التي قال عنها النبي **e**: (من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت)^(٣).



(١) <تفسير ابن كثير> (٢/ ٦٢٧).

(٢) سورة الشورى آية [١١].

(٣) تقدم تخريجه ص (٩).

هذا مايسرّ الله لنا بيانه من معاني هذه الآية العظيمة المباركة

(آية الكرسي)

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



d n f

- المقدمة ٥
- فضل آية الكرسي ٧
- فضل كلمة التوحيد ١٣
- شهادة أن لا إله إلا الله ٢٠
- قوله تعالى: { الْحَيُّ الْقَيُّومُ } ٢٦
- قوله تعالى: { لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ } ٣٤
- قوله تعالى: { لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ } ٤٠
- قوله تعالى: { مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ } ٤٨
- قوله تعالى: { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ } ٥٨
- قوله تعالى: { وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ } ٦٧
- قوله تعالى: { وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ } ٧٣
- فهرس ٨٢

